كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١٣) ديسمبر ٢٠٢٣م

الإبداع بين الذات والواقع في القصة القصيرة عند نجيب محفوظ

دراسة تحليلية

الدكتور
أسامة محمد السيد الشيشيني
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود – جامعة الأزهر
والأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
في كلية العلوم والآداب بالقريات جامعة الجوف
بالمملكة العربية السعودية

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

ينهض البحث بالتعرف إلى كاتب من الكتاب المتميزين في الإبداع القصصي، من خلال نقد الواقع، ورصد الأدوات الفنية التي اعتمد عليها الكاتب في إبداعه القصصي.

وتكون البحث من ستة مباحث ؛ يسبقها المقدمة، ويتبعها الخاتمة والفهارس، وتناول المبحث الأول: نقد الواقع في قصص الكاتب، وجسد المبحث الثاني: العنوان في قصص الكاتب، ورصدت في المبحث الثالث الحديث عن الشخصية وتشكيلها في قصص الكاتب، وخصصت المبحث الرابع للحديث عن النهايات في قصص الكاتب، وكان المبحث الخامس: البيئة في قصص الكاتب، وأخيرًا كان المبحث السادس بعنوان: اللغة والأسلوب في قصص الكاتب.

وأبرز البحث نجاح الكاتب في الوصول إلى المتلقي من خلال أدواته الفنية التي استعان بها في إبداعه القصصي؛ فأضفت على العمل جمالاً وتميزًا، ولا شك في أن الأفكار التي تتضمن النص الإبداعي؛ إذا لم يتم رصدها من خلال أدوات فنية معبرة وجذابة؛ ستبقى تلك الأفكار ضئيلة الفائدة.

الكلمات المفتاحية: الواقع، البناء الفني، القصة، القصيرة.

Creativity Between Self and Reality in Naguib Mahfouz's Short Story, Analytical Study

Abstract:

The research promotes the recognition of a writer who is distinguished in the creative creativity of fiction, through criticism of reality, and monitoring the technical tools that the writer relied on in his creative creativity.

The research consisted of six topics; It is preceded by the introduction, followed by the conclusion and indexes. The first topic dealt with: criticism of reality in the writer's stories, and the body of the second topic: the title in the writer's stories. In the third topic, I monitored the discussion of the personality and its formation in the writer's stories and devoted the fourth topic to talking about the endings in the writer's stories. The fifth topic was: the environment in the writer's stories, and finally the sixth topic was entitled: Language and style in the writer's stories.

The research highlighted the writer's success in reaching the recipient through his artistic tools that he used in his fictional creativity. It added beauty and distinction to the work, and there is no doubt that the ideas that include the creative text; if it is not spotted through expressive and attractive technical tools; These ideas will remain of little use.

Keywords: Reality, Technical Construction, Short, Story.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فتعد القصة القصيرة من أهم الفنون الأدبية تجسيدًا لقضايا المجتمع، فكلما كان الصراع قويا بين الإنسان والمجتمع، كلما وجدنا اتساع المجال للقصة القصيرة في تقديم أفكار جديدة؛ إذ إن القصة القصيرة تتميز بالاعتماد على تسطير الأحداث الفرعية التي تشير إلى القضايا؛ لذا كان إنتاج الإبداع القصصي في الستينات كبيرًا لتجسيد القضايا التي تمس الإنسان في تلك المدة(١).

أما عن دواعي الدراسة فتتلخص فيما يلي:

أولاً: إن الكاتب يتسم بمكانة متميزة في الإبداع الأدبي بشكل عام، والقصة القصيرة بشكل خاص؛ وتوالت الدراسات حول أدبه – خاصة إبداعه الروائي - لعمق محتواه وتنوع عطائه، كما أن القصة القصيرة عند الكاتب قد اتسمت بالأسلوب الساخر والصدق الفني؛ إذ تناول القضايا المنتشرة في الواقع والمؤثرة في وجدان الفرد، فهو صاحب رؤية نقدية؛ لذا كانت هذه الدراسة لنقده نقدًا موضوعيًا؛ من خلال نقد الواقع الاجتماعي والسياسي في قصصه القصيرة.

(١) ينظر فاطمة الزهراء: العناصر الرمزية في القصة القصيرة ص٢٤٩ (دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة، ١٩٨٤).

ثانيًا: إن القصة القصيرة عند الكاتب قد تميزت بالإمتاع الفني ونقد سلبيات الواقع؛ لذا آثرت البحث عن الروافد الدفينة المتجسدة في إبداع الكاتب القصصي.

ثالثًا: البحث عن الأدوات الفنية في القصة القصيرة لدى الكاتب؛ إذ ظهر للباحث – بعد استقراء القصة القصيرة عنده – إبداعه في أدواته الفنية؛ فوجدنا الزمن الإطار والمكان الإطار والحلم والمفارقة والتسجيلية والاسترجاع...، وهذا ما أغرى الباحث لدراسة القصة القصيرة عند الكاتب.

رابعًا: قلة الدراسات الأكاديمية في قصص الكاتب القصيرة؛ إذ إن أغلب الدراسات التي دارت حول أدبه قد تجسدت في إبداعه الروائي.

وتكمن إشكالية الدراسة في التعرف على أبرز الأدوات الفنية التي جسدها الكاتب في إبداعه القصصي، وكذلك رصد سمات الأسلوب لديه، والتعرف على توظيف الحوار والبنية الزمنية والمكانية في إبداعه القصصي.

أهمية الدراسة:

اتسمت القصة القصيرة بمناقشة الواقع ونقده وتحليل قضاياه وتنوع أدواته الفنية؛ فلم تعد القصة القصيرة مجرد أحداث تقع في صفحات معدودة؛ بل أضحت فنًا أدبيًا له خصائصه ومميزاته ، وهذا ما تجسد في إبداع الكاتب القصصي؛ الذي اتسم بتضافر مفردات نصه القصصي، وتوفر أدوات فنية متنوعة، وتنوع أساليبه في إبداعه ، وهذا ما يضفي على نصه جمالاً؛ فيؤثر على المتلقي.

الدراسات السابقة:

- دراسة سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ (دار الطليعة – بيروت، ١٩٧٦).
- دراسة د . فاطمة الزهراء: العناصر الرمزية في القصة القصيرة (دار نهضة مصر للطبع والنشر).
- دراسة ناهدة فضلي الدجاني: الموت في قصص نجيب محفوظ (الدائرة العربية، الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٧٠).

وهذه الدراسات قد أفاد منها الباحث؛ لكنها لم تهتم بالجانب الفني في أعمال الكاتب القصصية؛ مما جعل الباحث يرغب في نقدها وبيان آليات التشكيل المتجسدة بها؛ وكان ذلك في الحديث عن الزمن الإطار والمكان الإطار والاسترجاع والحلم والمفارقة والتسجيلية ودلالة العنوان والجوانب النفسية للشخصيات من خلال الحوار...إلخ، كما أن الدراسات السابقة لم تركز على النصوص القصصية القصيرة عند الكاتب لتناولها أدب الكاتب كاملاً؛ فكانت هذه الدراسة استكمالاً لنقد قصص الكاتب من خلال نقد الواقع ، وإبراز العناصر الفنية التي تجسدت في القصة القصيرة عنده.

تقسيم الدراسة:

والدراسة تحتوي على مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، ثم الخاتمة والفهارس.

أما المقدمة فقد تناولت فيها الإبداع القصصي، ودواعي الدراسة وإشكاليتها وأهميتها، ثم الحديث عن الدراسات السابقة ومحتوى الدراسة، ثم بيان أدوات الدراسة ومنهجها.

والتمهيد تناولت فيه معالم حياتية عن الكاتب من خلال ترجمة مختصرة عن الكاتب.

والمبحث الأول كان بعنوان: نقد الواقع في قصص الكاتب، وقد تناولت فيه نقد الكاتب للواقع الاجتماعي والسياسي.

والمبحث الثاني كان بعنوان: العنوان في قصص الكاتب، وقد جسدت فيه علاقة العنوان بالمضمون الكلي للإبداع القصصي عند الكاتب، كما أوضحت فيه تجسيد المكان الإطار؛ الذي يتحكم في التجربة وأحداث القصة من خلال العنوان.

والمبحث الثالث كان بعنوان: الشخصية وتشكيلها في قصص الكاتب، ورصدت فيه الحديث عن دلالة الأسماء، والنموذج الإيجابي والسلبي في قصص الكاتب.

والمبحث الرابع كان بعنوان: النهايات في قصص الكاتب، وطرحت فيه نهاية القصة ومدى توافق ذلك مع أحداث القصة من البداية، وكذلك نهاية الشخصية ومدى تلاؤم ذلك مع عملها في إبداع الكاتب القصصي.

والمبحث الخامس كان بعنوان: البيئة في قصص الكاتب، وتم الحديث من خلاله عن الزمان والمكان ووسائل التعبير بالسرد عنهما.

والمبحث السادس كان بعنوان: اللغة والأسلوب في قصص الكاتب، وتناولت فيه الحديث عن الأدوات التي لجأ إليها الكاتب في إبداعه القصصي كالتسجيلية والحلم والمفارقة وأسلوب الوصف وأسلوب الحوار....

أدوات الدراسة:

وقد اعتمدت الدراسة على الانتقاء والاختيار من نصوص الكاتب القصصية؛ إذ يصعب تناول ذلك بالتفصيل، وهذا ما جعل الباحث يختار أجودها بما يخدم الدراسة، ثم يجسد في الهامش الإحالة لما يرصده الباحث في دراسته.

منهج الدراسة:

وقد اعتمدت في الدراسة على المنهج التحليلي؛ حيث مطالعة النص، ومعرفة محتواه وتحليله والكشف عن مقومات الإبداع فيه.

والدراسة تأمل الوصول إلى مبتغاها في الكشف عن المقومات الفنية ونقدها نقدًا موضوعًيا يسهم في إبراز ما تضمنه إبداع الكاتب القصصي من قضايا مضمونية وأدوات فنية.

ولا شك في أن كل دراسة لا تخلو من الثغرات؛ لكن – حسبي – أنني بذلت قصارى جهدي في استقراء إبداع الكاتب القصصي ونقده وتحليله وإبراز أدوات التشكيل لديه، ولله الحمد في الأولى والآخرة والله من وراء القصد.

التمهيد: ترجمة مختصرة عن الكاتب

ولد نجيب محفوظ في حي الجمالية بالقاهرة ١٩١١م، ونشأ في أسرة متدينة[١]، وعاش في ظروف سعيدة عبر عنها بقوله: "الظروف التي نشأت فيها هي الطبقة الوسطى الشعبية، وكانت في عمومها سعيدة ولطيفة، ولم يعترضها ما يعكر صفوها"[٢].

وكان نجيب محفوظ في بدايته لاعبًا لكرة القدم في العباسية، وشهد صديقه "أدهم رجب" بذلك في قوله: "لم أر لاعبًا في سرعة نجيب محفوظ في الجري..." [٣]، وقد اعترف الكاتب بفضل صديقه عليه؛ إذ كان له أكبر الأثر في توعيته أدبيًا؛ فكان يذهب إليه ليزداد معرفة بالمدرسة الإنجليزية[٤].

وقد أحب الكاتب القصص؛ خاصة القصص البوليسية، وقد عبر عن ذلك بقوله: "كنت أقرأ روايات جونسون على أنها حقائق، ولهذا كنت أكاد أبكي أو أضحك تبعًا لتغير الموقف، وبدأت التأليف وأنا طالب في المرحلة الابتدائية، ولكنه تأليف من نوع غريب، كنت أقرأ الرواية وأعيد كتابتها مرة أخرى

---

(١) انظر د. علي شلق: نجيب محفوظ في مجهولة المعلوم صـ٤٦ (دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م) وينظر محمد أحمد القضاة: نجيب محفوظ والتراث(الجامعة الأردنية ١٩٩٦ كلية الدراسات العليا) ص٢: ٢٨ .

(٢) نبيل فرج: نجيب محفوظ حياته وأدبه صـ٢٤ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م).

(٣) مجلة الهلال ١٩٧٠، عدد خاص عن نجيب محفوظ (صفحات مجهولة من حياة نجيب محفوظ، أدهم رجب صـ٩٨).

(٤) انظر السابق نفسه: صـ٩٤ .

بالشخصيات نفسها مع تعديلات بسيطة، ثم أكتب على غلاف الكشكول تأليف نجيب محفوظ..." [١].

وتأثر الكاتب بروافد متعددة جسدت ثقافة الكاتب وأثرت في إبداعه، وتجسد ذلك في رافد العلم؛ فقد قرأ الكاتب كتبًا في علم النفس والجمال وعلم الاجتماع[٢].

وكان للكاتب إبداع متعدد في القصة والرواية، ونال الإعجاب من النقاد، وقد توج هذا النتاج بالحصول على جائزة نوبل؛ تلك الجائزة التي كانت "تتويجًا لرحلاته الطويلة التي بدأت في الثلاثينيات..." [٣].

وقد عمل الكاتب موظفًا في إدارة الجامعة، ثم وزارة الأوقاف فالثقافة؛ إلى أن أحيل للمعاش ١٩٧١م، وتوفي الكاتب عام ٢٠٠٦م[٤].

(١) جمال الغيطاني: نجيب محفوظ يتذكر صـ٦١ (أخبار اليوم، ١٩٨٧) .

(٢) انظر: صبري حافظ: نجيب محفوظ مصادر تجربته الإبداعية صـ٣٩ (مجلة الآداب، عدد ٧، ١٩٧٣).

(٣) نبيل فرج: نبيل محفوظ حياته وأدبه صـ٤٣.

(٤) انظر السابق نفسه: صـ٣٢.

المبحث الأول: نقد الواقع في قصص الكاتب

من المتعارف عليه أن الإبداع الأدبي يعد ظاهرة اجتماعية؛ كما أنه يجسد تأثره الواضح بما يعاني منه المجتمع، والأديب هو ابن لهذه البيئة التي يعيش فيها؛ فصوره وإحساسه مستمد منها؛ والإنسان لم يوجد ذاته ويصعب أن نتصوره مستقلا بكيانه؛ بل هو يعد أثر من آثار المجتمع، ولا ريب في أنه إذا وجد " فالجماعة كلها متعاونة متضافرة على تنشئته وتربية جسمه وعقله..."[١].

والكاتب قد تأثر بواقعه؛ فكانت قصصه ترجمة أمينة لأحداث المجتمع؛ فدعا إلى العدالة الاجتماعية كما في قصص (حنظل والعسكري) (معجزة) (الرجل السعيد)... إلخ من القصص التي ستتجسد خلال الدراسة؛ كما أن الكاتب قد دعا إلى الانتماء، وظهر ذلك في قصتي (الصدى، والفندق)... إلخ، ونادى في قصصه - أيضًا – بالأخذ بأساليب التقدم الحديثة، وظهر ذلك في قصته (وليد العناء)، كما دعا إلى الحرية وإرادة الفرد، كما في قصص (ضد مجهول، المجنونة، العالم الآخر، الفأر النرويجي... إلخ) وأشار في قصصه إلى بعض الأدواء التي يجب التخلص منها، فذكر غلبة النزعة المادية على الأخلاق؛ كما في قصص (روبابيكيا، الرجل الذي فقد ذاكرته مرتين... إلخ) والصراع الطبقي كما في قصص (الحجرة ١٢)، وصراع العقل والوجدان كما في قصة (الوجه الآخر).

والدراسة ترى أن ذلك يحسب للكاتب؛ فإن من تمام فنية القصة القصيرة مناقشتها للواقع؛ فتقوم بتطوير قضاياه ومعالجتها لتنجح في التأثير على المتلقي، وليس يعني ذلك البعد عن الخيال؛ بل الاستعانة به؛ على أن يكون

(١) د. طه حسين: قادة الفكر صـ٦ (دار المعارف، ط٩، القاهرة).

متصلاً بالواقع؛ فالكاتب المتميز هو من ينجح في تصوير موضوعاته وقضاياه تصويرًا دقيقًا[١].

كما أن الكاتب قد جسد في إبداعه القصصي الجانب السياسي؛ فالواقع الذي مرت به مصر في تلك الفترة التي عاش فيها كان قاسيًا؛ إذ تفشى ضرر الاحتلال المتجسد في السيطرة على خيرات البلاد، كما أن يد الفساد قد برزت في جميع المجالات، وهذا ما جعل الناس يعيشون واقعًا مريرًا؛ فالواقع السياسي في هذه المدة التي عايشها الكاتب كان "السمة التقليدية للأدب المصري الحديث"[٢]، كما أن "الوضع في العالم العربي الذي تهز أركانه على الدوام النزاعات السياسية"[٣].

ومن المتعارف عليه أن الكاتب المتميز؛ هو الذي يجمع بين السياسة والأدب ويعبر عن ذلك بإخلاص "والذي أراه أن الأديب ملزم بأن يجعل لأدبه معنى سياسيًا عن قصد ووعي... ذلك كي ينهض الأدب بواجبه الأصيل في إذكاء حب الحرية في النفوس والإبانة عن معالم الطريق إلى الحرية..." [٤].

وستقوم الدراسة بتناول دعوات الكاتب في قصصه القصيرة، ونقده وإدانته للجوانب الاجتماعية والفكرية والسياسية، وهذا ما يبرر لنا أن الكاتب

(١) انظر د. محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة صـ١٧٦ (منشأة معارف الإسكندرية ١٩٨٣).

(٢) فاليريا كير بيتشنكو: الرواية المصرية بعد الستينات صـ٦١ (مجلة فصول المصرية، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ١٩٩٣).

(٣) السابق نفسه: صـ٦١.

(٤) رئيف خوري: الأدب المسئول صـ٥٧ (دار الأدب، ط١ ، بيروت، ١٩٦٨).

كان مهتمًا بمشكلات مجتمعه؛ فعبر عنها من خلال موضوعات أدبية مؤثرة في المتلقي، وهذه تعد رسالة الأديب الذي يعمل "على تحقيق مستقبل أفضل للأمة العربية... ويجعل مشكلاتها دراسة عصرية مستفيضة"(١).

ففي قصة "وليد العناء" نجد إدانة الكاتب لعدم الاعتماد على المعرفة وإتقان أساليب العلم ووسائله المتطورة في الإصلاح والتقدم فالقصة تقدم انتظار الولد لمولود جديد؛ لكن الوالدة تعاني في الولادة ويحدث الإجهاض بسبب عدم الاقتناع بمعطيات التقدم العلمي في عصرنا الحالي، والاعتماد على الوسائل القديمة، وجسد الكاتب ذلك عندما قال صديق الأب: "علينا أن نستفيد من السوابق لا أن نخافها... كانت السابقة الأولى في الواقع داية، ولذلك أرجعنا الإجهاض الجبري إلى جهلها،..."(٢).

وفي قصة "الظلام" يدين الكاتب العجز والسلبية ورغبة العزلة لدى الشخصيات المجسدة للواقع، فالقصة تتناول وجود الشخصيات في حجرة الظلام واستسلامهم للمعلم الذي يجسد أصحاب النفوذ المستبدة؛ فقد أوهمهم بأن الظلام له فوائد كثيرة وأن العزلة لها أكثر من فائدة؛ إذ يقول: "لو تعارفتم لاحتدم الخلاف بينكم... وها أنتم تمضون وقتًا طيبًا في سلام بفضل الظلام والصمت"(٣).

كما ظل المعلم يخادعهم بأهمية الحفاظ على "السلامة... السمعة... العمل... الأسرة..." (٤)، ونجح بذلك إلى عزلهم وضمان عدم الخوض فيما يُقلق؛

(١) سلامة موسى: مقالات ممنوعة صـ١٨٤ (سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م).
(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ١٨٦ (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣م).
(٣) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٣٢ (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤م).
(٤) السابق نفسه: صـ٣٣.

بل إنه قد أخذ بطاقاتهم؛ ليطمئن بذلك على فقدان الشخصية – المجسدة للواقع – لكيانها، وعبر عن ذلك بقوله: "نمتم ساعة كاملة أنجزت فيها مهمتي..."(١).

وفي قصة "روبابيكيا" نجد إدانة الكاتب غلبة المادة على الأخلاق، فالقصة تتحدث عن تاجر الذهب الذي عشق الفتاة التي تتسم بالقوة وتحب الغناء "فرذائل القوة أحب عندها من فضائل الضعف"(٢)، وبعد ما قضت على ثروة التاجر تركته، والقصة تبرز في نهايتها أن الاعتماد على القوة والجمال والغناء يؤدي إلى النهاية المؤلمة، وتم ذلك في القصة؛ إذ تحولت الشخصية إلى بضاعة يتم التحكم فيها، وبرز ذلك في حديث الشخصية " لم يبق شيء ذو قيمة، ولكن أنت التحفة القديمة الوحيدة التي لم تمس"(٣)، والنص يجسد لنا أن تاجر الذهب قد تحول إلى بضاعة تباع في سوق الأدوات القديمة منتهية الصلاحية.

وفي قصة "ثلاثة أيام في اليمن" ينقد الكاتب عدم الاستعداد الجيد للدفاع عن الحرب؛ مما أدى إلى لجوء إحدى الشخصيات إلى الحرب دون تدريب، مما كان له الأثر في الهزيمة ومقتل الشخصية(٤)، فالقصة نقد من الكاتب لهزيمة ١٩٦٧م، والسلبية واللامبالاة التي تجسدت لدى أصحاب النفوذ والقرار؛ لذا كانت الهزيمة التي صدمت الشعب، وبرز الأدباء للتعبير عن ذلك في إبداعهم، وهذا يوضح لنا أن الإبداع الأدبي يعد المرآة المعبرة عن آلام

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص٣٧ (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤م).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية ص١٧٠ (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣م).

(٣) السابق نفسه: ص٢٠٢ . وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص٢٣٦، ٢٣٢، ١٦٧، ١٦٦، ١٩٥... .

(٤) انظر : نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص١١١/ ١١٩ (مصدر سابق).

المجتمع؛ فالأديب – من خلال إبداعه – ينشد الآمال ويعمل على تخفيف الآلام.

وفي قصة "مندوب فوق العادة" يرصد الكاتب نقده لاختلال المجتمع وما ينتج عن ذلك من اختلال الشخصيات نفسيًا؛ فالقصة تحكي زيارة مستشار برئاسة الوزارة لإحدى الوزارات، ويتحدث مع أحد الموظفين بها، فيقول "هيهات أن تتحقق العدالة وغيرها إذا كانت الصحة العامة معتلة..."[١]، وهنا يتعجب الموظف من لغة المستشار المجسدة للقيم وغيرها، وبعد نصف ساعة نجد تواجد المدير الذي يكتشف انتحال المستشار لتلك المهنة، ويظهر بأنه كان في مستشفى الأمراض العقلية؛ وكأن الكاتب يعبر عن نقده في هذه القصة من خلال السخرية، فالقصة توحي بأن العدل والقيم مع اختلال المجتمع؛ لا تكون إلا من المجانين.

ويسطر الكاتب في قصة "المجنونة" إدانته لخداع الناس وتضليلهم من جانب أصحاب النفوذ؛ فينشرون الأكاذيب، ليتشابك الناس فيما بينهم، وتسود الخصومة ويتم القضاء على العلاقات فيما بينهم، وبرز ذلك في قول إحدى الشخصيات: "فما أكثر المعارك في حارتنا... حتى أمسى جونا مشحونًا بالتربص والحذر والكراهية... جو سريع الاشتعال قابل في أي لحظة للانفجار..."[٢]، كل ذلك لإبعاد الشخصيات عن واقعهم وما يحدث فيه من قضايا تشغلهم.

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة: صـ٢٠٨.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٣٠ (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤) وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص ٦١، ١٠٠، ٦٥...

وفي قصة "الحاوي خطف الطبق" ينقد الكاتب اللجوء إلى الخيال والركون إلى السلبية والخوف؛ مما أدى إلى فقدان الشخصية لذاتها؛ فهي لم تعد تستطيع الوصول إلى مآربها حتى لو عن طريق الخيال؛ فقد استسلمت للواقع المر؛ لذا كانت النهاية العيش في الظلام الحالك؛ فالظلام "عما قليل سيهبط من مجاهله"(١)؛ فالقصة تحكي تطلعات طفل إلى الأمان؛ لكن الواقع يقف عائقًا أمام الوصول إلى أحلامه؛ لذا يظل الطفل مستسلمًا عاجزًا خائفًا؛ فالطفل هنا صورة مصغرة لحال الناس؛ الذين يتطلعون إلى الأمان؛ لكن لا يصلون إلى مرادهم؛ لسلبيتهم وعجزهم واستسلامهم(٢).

ويظل الكاتب في إبراز الأدواء التي انتشرت في المجتمع، فيرصدها ويقوم بنقدها، ويسطر من خلالها رفضه التام لها؛ فهي تورث المجتمع الفقر والجهل، وتغرس في النفوس السلبية؛ وتضعف الوازع في الوجدان، وهذا ما يجسد لنا أن أعمال الكاتب كانت صورة حية لأدواء المجتمع؛ ففي قصة "حلم نصف الليل" يدين الكاتب لداء الطمع، فالقصة تحكي قتل الابن عباس لأزواج أمه؛ إذ إنهم قد حطموها وسرقوا ما تملك؛ فكانت نهايتهم نتيجة أفعالهم(٣).

وهذا يعني بأن المبدع الناجح هو من له أهداف من كتاباته؛ فالكاتب الذي لا يهدف شيئًا من إبداعه يعد منافقًا "لأنه لا يؤمن بما يؤمن به المجتمع من أهداف سامية نبيلة"(٤).

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٦٤، ٦٥ (مصدر سابق).

(٢) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة: صـ٥٦/٥٨/٦٤.

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة صـ٢٢/٢٥/٣٣ (دار مصر للطباعة، ١٩٦٦).

(٤) سلامة موسى: مشاعل الطريق للشباب صـ١٠٦ (ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، فبراير، ١٩٦٢).

وفي قصة "الحجرة" نجد نقد الكاتب لظاهرة الصراع الطبقي؛ الذي تجسده بهيجة الذهبي، فهي تتصف بالغرور والتعالي والتكبر، وتقطن في الفندق حجرة ١٢، ولا تجلس مع من هم دون طبقتها، فهي ترفض أن يجلس معها أناس "من عامة الشعب تنطق وجوههم وملابسهم بشعبيتهم"(١)، وتكون نهايتها ابتعاد الناس عنها وعدم إنقاذها عندما بدأ بناء الفندق يهتز، وكأنها دعوة من الكاتب بأن البناء الاجتماعي يعتمد أولاً على القضاء على المفاسد والصفات البالية "ركزوا على السطح فوق الحجرات النزلاء، أما الحجرة ١٢ فأهملوها بجميع من فيها"(٢).

ويسطر الكاتب في قصته "الجريمة" السلبية والاستكانة من جانب الناس إزاء ما يحدث لهم من قضايا، بل والتستر على الجاني؛ نظرًا للخوف المسيطر عليهم، فالقصة تتناول حرق فتاة من الحي الشرقي، وقد عبر السارد عن هذا التستر وذلك الخوف في قوله: "لم نعرف القاتل الأرجح أنهم عصابة، فالقتل والإحراق والدفن تحتاج إلى أكثر من مجرم واحد"(٣)، وهذه الجريمة لم تحدث مرة واحدة، بل تعددت الجرائم المماثلة لها وكانت تقيد ضد مجهول؛ لاستكانة الناس والخوف المسيطر عليهم، فيقول أحد الشخصيات: " طمست معالم جرائم قبل ذلك وقيدت ضد مجهول لم تكن بفظاعة جريمة اليوم، ولكن ليس

(١) نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة ص٩٨ (مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٣).

(٢) السابق نفسه: ص١٠١.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة ص١٥٢ (مصدر سابق).

ما يمنع من أن يكون مصيرها كمصير سابقاتها"[١]، والقصة تجسد ما يمور بالشخصية من غموض وخوف وتلاشي الأمن لديهم.

ويجسد الكاتب في قصته "تحت المظلة" نقده للسلبية والعجز وعدم فهم الأمور والأحداث التي تجري بجانبهم، فالقصة تتحدث عن وجود الشخصيات تحت مظلة المحطة؛ ينظرون إلى الأحداث؛ دون أن يتأثروا بما يجري أمامهم من أحداث، وأوضح الكاتب ذلك من خلال حدث اللص الذي يطارده آخرون ويمسكون به ويتسابقون عليه ضربًا، ويقف الناس تحت المظلة وكذلك الشرطي ينظرون إلى الأحداث دون أن يشاركوا فيها "وشدت أعين الواقفين تحت المظلة إلى المعركة"[٢] وعبر الكاتب بشدت؛ ليظهر أن السلبية تمكنت منهم، ولن يستطيعوا مشاركة الأحداث.

وفي قصة "الهارب من الإعدام" ينقد الكاتب حب الذات على حساب قضايا المجتمع، فالقصة تتناول هروب الشخصية من حبل المشنقة واللجوء إلى احد الأصدقاء للاختفاء عنده، وفي هذه المرة تكون الحرب، ويقوم الصديق باستغلالها لصالحه، فيتكسب كثيرًا من تجارته، ويقول: "يا ولد العم، ليست الحرب كما يقولون، الحرب نعمة كبرى... والإنجليز رجال..." [٣]، ويبرز الكاتب نهاية الصفات السلبية؛ إذ يقضي على الاثنين الهارب من الإعدام وصديقه المتاجر بأموال الناس.

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة: صـ١٥٣ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة(د فاطمة الزهراء ص١٦٢،١٣٣،،١٩٩،٦٤... .

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٥ (مصدر سابق) .

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة صـ١٩٠/١٩١ (مصدر سابق).

ويسطر الكاتب في قصة "حنظل والعسكري" سيطرة أصحاب النفوذ على الشعب، وانهيار الشخصيات لتحطم آمالهم في العدالة؛ لذا تهرب الشخصية من هذا الواقع المظلم إلى الحلم؛ لتسري عن نفسها، فالقصة تحكي تعامل الشعب مع اضطهاد الشرطة، وجسد الشعب حنظل؛ الذي يلجأ إلى الحلم فهو المنفذ الوحيد الذي يستطيع فيه الإحساس بالعدل، وحنظل يبين في الحلم أن مأمور القسم قد تعهده بإدخاله مصحة لعلاجه من الإدمان، وأنه سيظل واقفًا إلى جواره حتى يخرج من أزمته، والكاتب هنا يشير إلى أن هذا الموقف من المأمور لا يحدث إلا في الحلم؛ إذ إن حذاء الشاويش قد وضع على حنظل فقال: "أين عهد المأمور يا شاويش؟!... عهد المأمور يا مجنون قم على القسم... فنظر... فوجد ظلمة شاملة وصمتًا"(١).

وفي قصة "الفأر النرويجي" يرصد الكاتب نقده للتظليل والتحكم بحياة الناس من جانب السلطة؛ فالقصة تتناول خداع أصحاب النفوذ للناس، وذلك باختراع حدث خيالي وهو أنه قد انتشر وجود العديد من الفئران الشرسة، ويجب عمل خطة لمقاومتها، ويبين الكاتب أن هذه المقاومة ليست للقضاء على هذا الخطر الذي يهدد حياتهم؛ وإنما الغرض منه التضييق عليهم والنيل من حرياتهم ونشر الخوف والقلق فيما بينهم، فالخطة عبارة عن قيود لحرياتهم "أغلقوا النوافذ والأبواب... افحصوا حافة الباب..." (٢)، وكانت السلطة تعتمد

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢٠٦ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ١/٥ (مصدر سابق).

في الخداع على طيبة الناس وتصديقهم، فكانوا يقولون لهم: "كله يهون في سبيل الأمان"[١]، كما كانوا يصفون تلك الفئران بأنها "العدو على الأبواب"[٢].

ويجسد الكاتب في قصة "المتهم" إدانته للظلم؛ عندما يتهم الشخص بفعل شيء لم يقم به، فالقصة تتناول قيام شخصيته بالغناء وهي مستقلة دراجتها، ثم يقوم بالتصلق بمؤخرة سيارة أخرى، وتحدث المفاجأة بوجود ماعز بالطريق؛ مما يؤدي إلى توقف السيارة وتنتهي حياة الشخصية بسبب ذلك، ثم نجد وقوع الاتهام على رجل كان يسير في الطريق، وهنا تبدأ معاناته؛ للظلم الذي لحق به؛ وهذا ما جعله يقول: "لماذا أنا بالذات... لقد تم التعارف بيني وبين أشياء لم أعرفها قبلاً... الحظ، المصادفة... كل شيء يجب أن يعاد التفكير به..."[٣].

ويجسد الكاتب في قصة "ضد مجهول" إدانته لسيطرة السلطة على مجريات الأمور، وإشاعة الناس بالفزع، وبث الخوف والفزع لديهم، فالقصة تتناول جريمة يتم ارتكابها عن طريق الخنق، ويرصد الكاتب – من خلال ذلك – نقده لاستسلام الناس وقبولهم للأمر دون مناقشة، ودلل على ذلك القمع أن المحقق نفسه لتلك الجريمة (محسن عبد الباري) قد لقي نفس المصير، وكأنه إيحاء من الكاتب أن من يسأل سيلقى النهاية ذاتها؛ لذا كانت استكانة

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: صـ١٢.

(٢) السابق نفسه: صـ٦/٥ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة(د فاطمة الزهراءص١١٩،١١٢،٦٨،٩٩،١٦٢...إلخ .

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٧٠، ٧١ (مصدر سابق).

الشخصيات، وعبر السارد عن ذلك بقوله: "إن الحياة يجب أن تسير سيرتها المألوفة ولن تنشر كلمة واحدة عن الموضوع في الصحف..." (١).

وفي قصة "الختام" يرصد الكاتب نقده للتزوير؛ فالقصة تبرز نجاح إحدى الشخصيات؛ عندما تم ترقيتها إلى وكيل وزارة، وتحدث المفاجأة عندما يكتشف الموظف – المكلف بمراجعة الملفات قبل التعيين – التزوير في شهادة الميلاد، ويبدأ الصراع الداخلي للشخصية بين مساومة الموظف أو عدم المساومة، فما يترتب عليه افتضاح أمره، وظلت الأحداث في إطار هذا الشأن؛ حتى كانت نهاية تلك الشخصية بالانتحار(٢).

ويسطر الكاتب في قصة "روح طبيب القلوب" نقده لوسائل التضليل والخداع التي تتم من خلال ولي الضريح وخادمه والشرطي؛ إذ يقومون باستغلال ما تمتلكه الفتاة من قطعة حلي، والفتاة هنا تجسد العدالة الاجتماعية، ويقوم الولي وخادمه والشرطة باقتسام تلك الغنيمة، ويعبرون عن ذلك بقولهم: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾(٣)، وينقد الكاتب من خلال قصته داء المساومة؛ عندما قام الولي بمساومة الشرطي وجعله طرفًا في هذه الغنيمة، فالقانون كما يقول السارد: "لا يغمض عينيه بلا ثمن"(٤).

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص١١٨ (مصدر سابق).

(٢) انظر نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة ص١٤٨ (مصدر سابق).

(٣) الآية من سورة البقرة الآية (٢١٢)، وانظر: نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل ص١٢١ (مصدر سابق).

(٤) السابق نفسه: ص١٢٥ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص١٠٦،١٠٤،١١٨،٦٠....

ويتابع الكاتب إدانته للسلبية المتمثلة في العزلة وعدم الاكتراث بقضايا المجتمع، وبرز ذلك في قصة "نافذة في الدور الخامس والثلاثين"؛ إذ تتناول عزلة البطل وتقوقعه في نفسه، وقد اتخذ الكاتب الدور الخامس والثلاثين؛ ليؤكد عزلة البطل، الذي يرى أن من يتطلع من خلاله نافذته ستختفي لديه "تفرد الناس... فلا أثر يظهر لهمومها..." (١)، ثم يتابع الكاتب سلبية البطل من خلال وصفه لذاته وأنه لم يعد يشعر بالمدينة (٢).

وفي قصة "الصدى" يسطر لنا الكاتب إدانته للسلبية والقسوة المتجسدة في الأم الرامزة للوطن؛ مما اضطر الابن للهجرة نتيجة تلك القسوة، وقد جسد الكاتب هذا الجحود بقوله: "أنت لا تتجاهلين وجودي ولكنك تجهلينه بكل معنى الكلمة، أنت لا تسمعيني ولا تريني..." (٣)، والكاتب هنا ينقد عجز الأم وصمتها الدائم وقسوتها؛ مما زاد من حاجز الفرقة بينهما وبين أبنائها، وجعل الأبناء يضطرون إلى الهجرة والعزلة.

وينقد الكاتب في قصة "العالم الآخر" الاستبداد من جانب السلطة المتجسدة في الإنجليز؛ وهذا ما جعل الشخصية تغادر حي العالم الآخر؛ لأنه لا متنفس فيه، وتتجه إلى حي البغاء المجسد للحياة السياسية في الثلاثينيات، وقد سبق البطل إلى حي البغاء صديقه، فحي البغاء يوحي بالصمود، وقد عبر

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ٢٥٤ (مصدر سابق).

(٢) انظر السابق نفسه: صـ٢٤٢.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢٣ (مصدر سابق).

الكاتب عن ذلك بقوله: "لا أستطيع أن أدعه يمر دون مقاومة؛ وإذا تجاهلته فقدت عملي وكرامتي... ولن ألجأ للشرطة... [١].

إن نقد الكاتب للأدواء المتجسدة في مجتمعه يؤكد "أن الأدب والفن تعبيران عن الحياة... وهما يقومان بوظيفة اجتماعية واحدة... كما أنها أداة لتحويل المجتمع..." [٢].

نخلص مما سبق إلى أن الأدب يرتبط بالمجتمع، وتؤثر تلك العلاقة "بكل ما تتسم به من أبعاد وإيجابيات وتناقضات في نفسية الأديب... الأديب حين يتأثر بالمجتمع... إنما يعكس ذلك فهمه وتأثره به..." [٣].

ومن المتعارف عليه أن قضايا الواقع تتجسد من خلال العديد من الجزئيات التي تؤثر في الكتاب؛ فيتخذون منها موضوعًا لإبداعهم؛ لذا لجأ كاتبنا إلى التعبير عن ذلك من خلال المجموعات القصصية القصيرة؛ فكل قصة تشمل قضية يرصدها الكاتب ويجسدها في قالبها الفني، ونجح الكاتب فينقل الواقع نقلاً صريحًا؛ ليؤدي دوره في استنهاض الهمم للقضاء على السلبيات وتعزيز الإيجابيات، والدراسة ترى أن الكاتب في قصصه كان محللاً للمشكلات المتجسدة في واقعه، والأديب المتميز هو من يحلل المشكلات "ويكون له موقفًا يستند على العدل والمساواة، ويعارض المستغلين" [٤].

---

(١) انظر: نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص٥٥ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص،١١١،٨١،٦٧،... .

(٢) محمود أمين العالم: الثقافة والثورة ص٢٦ (دار الآداب ، بيروت، اكتوبر، ١٩٧٠).

(٣) د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه ص٢٩٧ (دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٦٥).

(٤) سلامة موسى: الأدب للشعب ص١٢/١٦ (مؤسسة الخانجي بمصر، القاهرة، ١٩٦١).

المبحث الثاني: العنوان في قصص الكاتب

من المتعارف عليه أن العنوان يشكل أهمية كبرى في الإبداع القصصي، فهو كما يقول د. "محمد عبد المطلب": "يتحول إلى أداة مصاحبة تأخذ بيد القارئ حتى لا يضل في متاهات النص، فتتقطع صلته به رغم أنه داخله..." [(١)]، كما أن العنوان يمثل هاجسًا؛ إذ إنه من بداية قراءة النص القصصي؛ نجد العنوان الذي يحيل تساؤلات ويثير فضول القارئ " فيأخذ في التعبير عن المحتوى بعيدًا عن القراءة"[(٢)].

والكاتب في أغلب العناوين لإبداعه القصصي؛ كان يعتمد على العنوان غير المكتمل؛ حتى يجذب المتلقي لقراءة إبداعه القصصي؛ فيصل إلى استكمال ما فقده المتلقي من وضوح أو دلالات؛ ففي قصة "الفأر النرويجي" نجد أن العنوان يحتاج إلى تكملة لإتمام الجملة؛ ولعل أقرب الألفاظ التي نستطيع من خلالها إلى استكمال العنوان هو: ما أحوال الفأر النرويجي؟ أو ما المقصود به؟، وتكون الإجابة من خلال استكمال النص القصصي أو الاطلاع عليه بأكمله؛ إذ سيتضح لنا أن الكاتب أراد في هذه القصة تجسيد التضليل والخداع من أصحاب النفوذ، فقاموا باختراع لقصة الفأر النرويجي؛ بأنها شرسة وستقضي عليهم؛ لذا يجب عمل خطة للقضاء عليها، وهذا تمويه من أصحاب النفوذ، فهم لا يرغبون في وضع خطة أو القضاء على الفئران؛ إنما يرغبون في زيادة

(١) د. محمد عبد المطلب: بلاغة السرد صـ١١٨ (الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ٢٠٠١).

(٢) صدوق نور الدين: البداية في النص الأدبي صـ٧٠ (دار الحوار للنشر: ط١، ١٩٩٤).

التضييق على الفرد، فالأحداث السابقة كانت إجابة عن التساؤل النابع من عدم استكمال وضوح العنوان[١].

وفي قصة "الخلاء" نجد العنوان يتكون من مبتدأ وتصبح في حاجة إلى خبر، ويكون الخبر هو جملة أحداث القصة؛ فالقصة تتناول عودة المعلم شرشارة بعد غياب دام عشرين عامًا؛ ليقتص من لهلوبة الذي استولى على عرشه، ولكن بعد رجوعه يفاجأ بأن لهلوبة قد توفي متسممًا وأن عروسه أضحت أمًا وليس بها ما يستهويه منها، فآثر العزلة وكره "أن يرى الناس أو يروه، وكان ثمة طريق الخلاء فمضى نحو(الخلاء)"[٢].

ونجد العنوان في قصة "الصدى" يحتاج إلى الخبر؛ ويأتي من جملة أحداث القصة، والصدى هنا يوحي بالبلادة؛ إذ إن القصة تبين عودة عبد الرحيم إلى بيته بعد سنوات ابتعد فيها عن أمه لقسوتها والأم في القصة توحي بالوطن، وقد هاجر الأبناء عن الأم بسبب قسوتها، وعبر عبد الرحيم عن ذلك بقوله: "إنها لا تبرأ من صفة الصخر"[٣]، ثم يبين جحودها بقوله: " أنت لا تتجاهلين وجودي، ولكنك تجهلينه بكل معنى الكلمة، أنت لا تسمعيني ولا ترينى"[٤]، فالأم في البداية قابلته بالقسوة، وهي الآن تقابله بالصدود.

ويسطر لنا الكاتب في قصة "الرجل السعيد" المفارقة في العنوان، فالقصة تجسد الآلام التي يتعرض لها الأفراد في الواقع؛ لكن البطل أضحى لا

(١) انظر: نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ١/ ٤/ ٥/ ٦.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٣٨.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢٣.

(٤) السابق نفسه : صـ٢٢/ ٢٣ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص ١١١، ١٤١، ١١٠، ٦٧...

يشعر بتلك المتاعب، وأصبح يعيش سعادة مستمرة ونتج عن ذلك أنه صار وحيدًا في مجتمعه الذي يئن؛ فالجميع به من الآلام التي تبعث من القضايا التي تمس وجدانه وكيانه؛ لذا يصف نفسه بأنه "وحيد بين يدي سعادته الطاغية بلا معين ولا صديق"(١)، وأصبح البطل منبوذًا من الجميع؛ لأنه قابل معاناتهم بالسخرية والسعادة والضحك.

ويجسد الكاتب في قصة "مندوب فوق العادة" السخرية في العنوان؛ فالقصة تتناول قيام أحد شخصياتها وهو إسماعيل الباجوري بدور مستشار لرئاسة الوزراء، ثم يذهب إلى إحدى الوزارات لمتابعتها ويتجه معه أحد موظفي الوزارة، وأثناء المتابعة يتحدث المندوب أحاديث تجسد المشاعر الإنسانية لديه، وهذا ما جعل الموظف يحتار لذلك، فوصفه الكاتب بأنه مندوب فوق العادة، والسخرية هنا عندما جاء مدير الوزارة واكتشف خداع إسماعيل؛ لأنه قال ما هذا حديثهم، ثم وصمه الكاتب بأنه كان في مستشفى الأمراض العقلية، وكأنه يريد القول بأن من يتحدث عن العدالة والإيجابية لا يعد إنسانًا سليمًا، وإنما هو معتل(٢).

وفي قصة "الظلام" نجد أن العنوان يحتاج إلى معرفة إيحاء هذا الظلام، ويكون ذلك من خلال الاطلاع على المحكي السردي، فالقصة تبين الواقع وأثره على الشخصيات؛ الذين يتسمون بالعجز والاستسلام؛ لذا وضعهم الكاتب في حجرة ضيقة مظلمة لتتوافق مع حالهم فهم يعيشون في عزلة واستسلام

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود: ص١١١.

(٢) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص٢١٣/ ٢١٥.

وصمت وخوف، وجسد السارد ذلك في قوله: "والباب مغلق بإحكام"[١]، وأحداث القصة تبين للمتلقي أن الظلام كان المحور الرئيس؛ فمن خلاله تدور الشخصيات، وفيه تعاني الشخصية؛ لذا السارد يصف الظلام بأنه "جدار غليظ"[٢].

ويسطر الكاتب في قصته "تحت المظلة" العنوان غير المكتمل، ويمكننا استكمال العنوان بأكثر من شكل؛ كأن يتساءل المتلقي ماذا يدور؟، وثمة أطروحات كثيرة في هذا الشأن، وتأتينا الإجابة من خلال المحكي في سرد القصة؛ إذ يتضح بعد الاطلاع على نص القصة أن السلبية قد عمت الشخصيات، وأنهم لا يشاركون في الأحداث، وأن ما يستطيعون فعله هو المشاهدة فقط من مكانهم لمجريات هذه الأحداث[٣].

والعنوان في قصة "النوم" يحتاج إلى تكملة لإتمام الجملة، والعنوان يوحي بالثبات وهو يتوافق مع جملة أحداث القصة، فالقصة تتناول ما تجسد في الأفراد من السلبية والتخاذل عن المشاركة في الأحداث، وقد نجح الكاتب في اختيار العنوان، فالنوم يوحي بالثبات والشمول، وكأن الكاتب يبين أن الثبات والتخاذل كان سمة لجميع الأفراد فوصموا - لذلك – بالسلبية والنوم الطويل الذي يفقد فيه الشخصيات الحركة[٤].

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة: ص٣٧ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص١٦٦، ١٠١، ١٠٣...

(٢) السابق نفسه: ص٣٨.

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص٥/ ٧ .

(٤) انظر السابق نفسه: ص ٢١/ ٢٤/ ٢٧ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص٨٨، ٨٢، ١٦١... .

والكاتب في قصة "الزيارة" جسد صورة العجز عند (عيون) واحتياجها إلى المستغلة (عدلية)، والعنوان يحتاج إلى استكمال لإتمام الكلام، ويكون الإتمام في جملة أحداث القصة، فيقصد الكاتب بالزيارة؛ زيارة الشيخ طه لعيون واستنهاض الهمة لديها، وفي نهاية القصة تتحول سلبية (عيون) إلى إيجابية؛ إذ تبدأ في مواجهة (عدلية) "أنا لا أخشاك، لست تحت رحمتك..."[١].

وهذه جملة من العناوين التي تجسد أن عناوين قصص الكاتب كانت توحي بنفس الأمر؛ فالعنوان إما موحيًا لقضية أو إشارة إلى استنهاض للهمم، كما أن العناوين في أغلبها كانت غير مكتملة، وهذا يحمد للكاتب؛ لأنه يريد جذب المتلقي؛ لذا يجعل عنوان قصصه غير مكتمل؛ وتكون الإجابة أو اكتمال العنوان يفيد خلال جملة أحداث القصة.

نخلص مما سبق إلى أن العنوان لا يعد "زائدة لغوية في العمل، ولا هو عنصر من عناصره انتزع من سياقه ليحيل إلى العمل كله... العنوان يعد إشارة دالة في إنتاجيتها الدلالية..."[٢].

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٧٠..

(٢) محمد فكري الجزار: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي صـ٣٥ (الهيئة العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨).

المبحث الثالث: الشخصية وتشكيلها في قصص الكاتب

من المتعارف عليه أن الشخصية تجسد محور الإبداع القصصي؛ فالأفكار والآراء تجسد من خلالها؛ وقضايا المجتمع يتم تصويرها من خلال تشكيل الشخصية في العمل القصصي؛ ومن هنا كان الاهتمام بالشخصية وعملها، وأصبح التركيز على "رسم ملامح الشخصية والتهويل من شأنها، والسعي على إعطائها دورًا ذا شأن خطير تنهض به تحت المراقبة الصارمة للروائي التقليدي؛ الذي كان يعرف كل شيء سلفًا"[١] عن الشخصية والبيئة الزمنية والمكانية.

وقد اهتم كاتبنا بالشخصية في إبداعه القصصي، ونجح في تجسيدها للمتلقي من خلال طرح مقنع، وسيكون الحديث هنا من خلال ثلاثة أمور: دلالة الأسماء والنموذج الإيجابي والنموذج السلبي.

أولاً: دلالة الأسماء في قصص الكاتب:

من المتعارف عليه أن الكاتب يواجه المتلقي مع الكلمة الأولى التي يسطرها في إبداعه، فالصيغ والعلامات وأسماء الشخصيات تعد من اختيارات الكاتب التي وردت لهدف وليس الاختيار عشوائيًا[٢]؛ ومن هنا نجد (رينيه ويلك) يقول إن الأسماء " نوع من أنواع الإحياء..." [٣].

(١) د. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية صـ١٢ (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر ١٩٩٨).

(٢) انظر: أندريه ميكيل: رؤية فرنسية للأدب العربي صـ١٢٦ (كتابات نقدية ١٨٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة) ترجمة وتعليق د. أحمد درويش.

(٣) رينية ويلك، أوستن وارين: نظرية الأدب صـ١٢٩ (المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٧).

وفي قصة "مندوب فوق العادة" نجد إسماعيل الذي يعمل مستشارًا في رئاسة الوزراء والاسم يدل على صفات إيجابية كتقديم المساعدة والاندماج مع الآخر، وهذه الصفات توافقت مع مشهد الشخصية في القصة؛ إذ وجدناه يتعاطف مع البائس، ويقول عن الصحة: "هي التوازن والتوافق والتعاون في الكائن، ولكن هيهات أن تتحقق إذا كانت الصحة العامة معتلة..."(١)، ثم يقول للموظف بإحدى الوزارات التي ذهب لمراقبتها: "راقب آثار الحرب في بلادها..."(٢) وقد استشعر الموظف بالتفاؤل؛ عندما وجد هذا المسؤول المهتم بشأن الكادحين، والراغب في رفع الهموم عنهم(٣).

وفي القصة ذاتها نجد شخصية المدير المسؤول، ولم يسمه الكاتب إيمانًا منه أن صفاته يشترك فيها أغلب من شغل هذا المنصب، فالمدير يتسم بالذكاء، وتجسد ذلك عندما اكتشف أن إسماعيل ليس مستشارًا في رئاسة الوزراء؛ فهم لا يتحدثون عن التعاطف أو غيره من الصفات الإيجابية التي اتسم بها إسماعيل؛ لذا شك في شأنه فهو "يتحدث حديثًا غريبًا"(٤).

وفي قصة "كلمة غير مفهومة" نجد شخصية حندس؛ فالاسم يعني الظلام وهو يتوافق مع عمل الشخصية؛ فهي تتسم بالاستبداد والجبروت والقتل؛ لذا فاسم حندس "يستجمع فكرة الظلام والظلم"(٥) ، وفي القصة نجد

(١) نجيب محفوظ: خمارة القط الأسود صـ٢٠٨ (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤).

(٢) السابق نفسه: صـ٢١٥.

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢١٠،٢١٩،٢١٣ (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤).

(٤) نجيب محفوظ: خمارة القط الأسود ص٢١٣.

(٥) سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ صـ٣٦٧ (دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٦).

سعي حندس الدائم لقتل حسونة؛ وفي القصة – أيضًا - نجد شخصية حسونه والاسم يعني المثالية والمحافظة على التقاليد، وهذا يتوافق مع عمل الشخصية في القصة؛ فهو على الرغم من أن الأم نذرته لقتل حندس إلا أنه أبى[١].

وفي قصة "الخلاء" نجد المعلم شرشارة، والاسم يدل على القطع، وهو يتوافق مع عمل الشخصية في القصة، فالمعلم شرشارة يعود بعد الهجرة التي دامت لمدة عشرين سنة؛ جاء ليقتص من لهلوبة الذي سلب المعلم من زوجه يوم عرسه؛ ونراه يقول: "لا أمل لك في الحياة إلا الانتقام... ولا فكرة تخطر إلا الانتقام..."[٢].

ونجد في قصة "الرسالة" شخصية سالم عبد التواب؛ يعني الاسم المسالمة والاغتراب، وهذا ما توافق مع عمله بالقصة؛ إذ عاش والخوف يسيطر عليه، ويرى أن الفناء هو النهاية التي لا مفر منها، وعبر السارد عن ذلك بقوله: "طارده الخوف من الظلمة... من الهواء المشحون بأنفاس الخلق، يحذر نفسه من القضاء والمصادفة، تتلاشى الحياة لديه في غيبوبة المجهول..." [٣]، ولكنه في نهاية القصة بدا عليه التفاؤل بعدما اقترن بعظيمه كريمة الشيخ الجلبي التي لها من اسمها نصيب؛ إذ وقفت إلى جواره، وشدت من أزره، وساعدته حتى بدا عليه الأمل، وندر الخوف الذي سيطر عليه من قبل[٤].

ويطرح الكاتب في قصة "زيارة" شخصية (عيون) والاسم يشي بالمحافظة وطيب النفس، وهذا يتوافق مع السيدة (عيون) التي يسيطر عليها الخوف؛

(١) انظر: نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٦/ ١٠/ ١٤، (مصدر سابق).
(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢٨ (مصدر سابق).
(٣) نجيب محفوظ: مجموعة الشيطان يعظ صـ٢٨٨ (مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٩).
(٤) انظر نجيب محفوظ: مجموعة الشيطان يعظ صـ٢٩٠/ ٢٩١/ ٢٩٢/ ٢٩٣.

فهي امرأة عاجزة عن الحركة، وتخشى دومًا من استبداد خادمتها (عدلية) بها لطيبتها، وتجسد ذلك عندما تذكرت اغتيال وحيدها؛ فهذا الاغتيال من أسباب سيطرة الخوف عليها، يقول السارد: "ومن عجب أنها لا تفقه للسياسة معنى ولا يتحرك في نفسها لها ساكن ورغم ذلك التهمت وحيدها"(١)، ومن الشخصيات في القصة (عدلية) والاسم يوحي بالعدل؛ لكنها في القصة لم يتسم فعلها بذلك؛ إذ إنها سيطرت على (عيون) العاجزة واستغلت هذا العجز بالتساوم معها في أحداث متنوعة بالقصة(٢)، ومن شخصيات القصة (الشيخ طه) والاسم يدل على التحفيز والود ومساعدة الآخرين، وهذا يتوافق مع عمله في القصة؛ إذ كان داعمًا لعيون واستنهاض همتها؛ فهو رمز قوتها، وأعانها على استعادة قوتها ومجابهة استبداد عدلية لها، وتجسد ذلك في قول الشيخ طه: "إني مؤمنة ولكني طريحة الفراش، وتحت رحمة عدلية... فيرد عليها: المؤمن لا يكون تحت رحمة أحد إلا ربه انسي يا ست عيون أنك تحت رحمتها..."(٣).

ونجد في قصة "ضد مجهول" شخصية محسن، والاسم يدل على الإحسان وأنه طيب ويسعى للتقدم، وأعمال الشخصية في القصة توحي بذلك فهو المحقق لحادثة الخنق بالحبل والمجسد للسلطة؛ لكن الكاتب يجعل نهايته نفس ضحايا هذه الحادثة، فالسلطة تنتقم ممن يحاول السؤال في هذه الحادثة(٤).

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود ص١٥٧ (مصدر سابق).

(٢) انظر نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود: ص١٥٦/ ١٥٨/ ١٦٢.

(٣) السابق نفسه: ص١٦٦/ ١٦٧ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص٨٩، ١٤٣، ١٤١، ١٣٩، ١٠٠.....

(٤) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص١٠٦/ ١٠٨/ ١١٨ (مكتبة مصر ، ط٣، ١٩٧٤).

وفي قصة "الوجه الآخر" نجد شخصية (عثمان)، والاسم يوحي بالطموح وفصاحة اللسان وعدم الرغبة في الفشل، وعمله في القصة يجسد رجل الأمن وما يتسم به من النظام والتزام القيود، كذلك يطرح الكاتب في القصة ذاتها شخصية (رمضان) والاسم يدل على الثقافة والرغبة في التطوير، وعمل الشخصية في القصة يجسد التمرد والرغبة في الانطلاق(١).

ويطرح الكاتب في قصة "روح طبيب القلوب" شخصية (وجيه)، والاسم يدل على قوة الشخصية؛ لكن عمله في القصة يجسد الطبقة المستغلة، وظهر ذلك عندما ادعى أن الحلي الموجودة مع الفتاة هي ملك له ويريد أن يتقاسمها مع السلطة، ويقول الشرطي له "اصبر، ولا جدوى الآن من تحدي الجمهور"(٢)، وفي قصة "الحجرة ١٢" نجد شخصية (بهيجة) والاسم يدل على الجمال، لكن في القصة فالاسم يدل على البهجة المقترنة بحب المال والغرور؛ إذ إنها تقبل على متع الحياة(٣).

ونجد في قصة "الصدى" شخصية عبد الرحيم، والاسم يدل على الطيبة والرحمة؛ لكن في القصة يوحي غير ذلك؛ فهو يتسم بالقسوة التي أخذها عن والدته المجسدة للوطن؛ لذا هاجر وابتعد عن الأم، وجسد الكاتب تلك القسوة في قول عبد الرحيم: "لا تبرأ من صفة الصخر... ولأنك أمنا حقا، فأسلوبك هو أسلوبنا، وقسوتك هي قسوتنا"(٤).

---

(١) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٤٥/ ٤٦/ ٤٨/ ٥٠/ ٥١.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ١٣٨ (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣).

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة صـ٨٧/ ٩٠/ ٩٢/ ٩٨ (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٨).

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢٣ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص١٢٩، ١٠١، ١٠٨، ١٩٨....

ثانيًا: النموذج الإيجابي:

من المتعارف عليه أن الفن القصصي يشتمل على أفكار يتم بلورتها عبر التصوير الأمين للتجارب، والنقل الصادق لقضايا المجتمع، ويحمد للكاتب أنه أمعن النظر في الأفكار، وجسدها – من خلال أعماقه – إلى مشاعر إنسانية وإيجابية؛ حتى يتحلى بها المجتمع وأفراده فيسود التقدم.

وقد جسد الكاتب في قصة "الرجل السعيد" النموذج الإيجابي في شخصية الصحفي؛ الذي عايش الأحداث السياسية، وكان يتميز بروح التعاون والدعوة إلى التفاؤل؛ فهو يوحي بالمعرفة الكاملة لأحداث الواقع، ومنها العنصرية التي كانت تؤرق مشاعره وإنسانيته، وعندما كان يشعر بالسعادة يذهب إلى الطبيب ليطلب منه الشفاء من هذا الداء؛ فلا يجوز الإحساس بها في مجتمع يمور به الحزن الدفين(١).

ومن النماذج الإيجابية نجد زميل البطل في قصة "العالم الآخر" التي تبرز الحياة السياسية في الثلاثينيات؛ فزميل البطل في الدراسة هاجر إلى حي البغاء؛ لأنه يتاح فيه المقاومة، ويتمتع الناس فيه بحرية الرأي؛ لذلك ترك حي العالم الآخر لما فيه من استبداد وكبت للحريات وانطلق إلى حي البغاء ليمارس النشاط والتمرد، وجسد ذلك في قوله عندما كان يقاوم أحد الفتوات: "لا أستطيع أن أدعه يمر دون مقاومة، وإذا تجاهلته فقدت عملي وكرامتي... ولن ألجأ للشرطة حتى لا أفقد كرامتي مرتين..."(٢)، فالشخصية هنا إيجابية؛ لأنها تحررت من الخوف المتجسد في حي العالم الآخر واتجه إلى حي البغاء، وكان يحث

(١) انظر: نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود: صـ١٠٢/ ١١١.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ٥٥ (مكتبة مصر ، ط٢، ١٩٧٣).

الشخصيات على ضرورة استنهاض الهمم والعمل الجاد للوصول إلى المراد من تحقيق العدالة، والدراسة ترى أن عدم تسمية الشخصيات في أغلب قصص الكاتب؛ يرجع إلى التعظيم عندما تكون شخصية إيجابية فلا يسميها إشارة منه إلى ضرورة اتصاف جميع الأفراد بها، أو الاحتقار عندما تكون الشخصية سلبية ولا يسميها إهانة لشأنها ولما تقوم به من أحداث سلبية في الواقع؛ لذا لا تستحق التسمية.

ويطرح الكاتب في قصة "روبابيكيا" النموذج الإيجابي من خلال السيدة التي كانت تتسم بالقوة والجمال والثقة، وتكره العجز(١)، ويتابع الكاتب النموذج الإيجابي في قصة "الرجل الذي فقد ذاكرته مرتين" وتجسد ذلك في الابن؛ فالقصة تحكي عن تملك إحدى شخصيات القصة فندقًا ويسافر الابن إلى الهجرة للعمل والدراسة، وبتتابع الزمن يتم بناء فنادق أخرى، ويحاولون أصحاب تلك الفنادق القضاء على هذا الفندق؛ وهنا تظهر إيجابية الابن؛ إذ يقطع الابن البعثة، ويبدأ في استنهاض الهمم للمتواجدين، ويحثهم على المقاومة وعدم التفريط في الفندق، ويقوم بعمل أبحاث في إصلاح الفندق، ويبين لهم أهمية الاستعانة بالوسائل الحديثة والتحلي بالصبر للوصول إلى المراد(٢).

وفي قصة "روح طبيب القلوب" نجد النموذج الإيجابي متجسدًا في شخصية الفتاة؛ فالقصة تحكي عن الاستغلال والتضليل من جانب ولي

(١) انظر نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية صـ١٦٢/ ١٧٠ (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣).

(٢) انظر نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية: صـ٢٠٦/ ٢١٢/ ٢٢٠/ ٢٢٥ (مصدر سابق).

الضريح وخادمه، ومعهما الشرطي؛ عندما وقعت حلي من الفتاة؛ هنا بدأ كل منهم يدعي أن الحلي ملك له وأخذوا يقنعون الفتاة بذلك، ويخترعون لها مشاهد تمثيلية تطرحها على الشعب بناء على ذلك؛ لكن جموع الشعب تمسكوا بحقهم، وكان ذلك من خلال استنهاض الهمم من جانب تلك الفتاة؛ التي أصبحت رمزًا للعدالة، وعبر الكاتب عن ذلك من خلال قول السارد: "إن الجموع أصبحوا يركعون يهللون يكبرون بإشارة من يديها..."(١)، وكانت تخاطب الجمع بما تم لها من جانب ولي الضريح فأظهرت لهم بأنهم أجبروها على التضليل، وكانت الفتاة - لذلك – ذات تأثير عليهم، وعندما وجدها الشاب تقاتل كالرجل قال: "إنها فتاته الموعودة فازداد قوة واستبسالاً"(٢)، والقوة هنا تعني القضاء على الخداع والاستغلال والتضليل.

ويرصد لنا الكاتب في قصة "وليد العناء" النموذج الإيجابي في شخصية الشيخ؛ فالقصة تتناول ولادة متعسرة للأم بعد إجهاض أكثر من مرة بسبب استخدام الوسائل القديمة، وينتاب الزوج الخوف في هذه المرة؛ لكن الشيخ يعمل على اطمئنانه ويقول له: "المؤمن لا يخاف ولا يقلق، علينا أن نزعن لمشيئة الله قبل كل شيء"(٣).

ويسطر الكاتب في قصة "عنبر لولو" النموذج الإيجابي من خلال شخصية الكهل الذي يقطن في "كشك مصنوع من جذور الأشجار على هيئة

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص١٤٢ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص١٥٠ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ٢٣٢، ١٠٨، ٢٣٨، ١٠٤...

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص٢١١.

هرم تكتنفه أغصان الياسمين"[١]، وهذا النص يبين لنا الإيجابية والأمل لدى الشخصية؛ فهي تقطن في مكان مؤقت؛ إذ تسعى دومًا إلى النضال والأمل في معيشة أفضل، وأكد الكاتب على ذلك من خلال وصفه له" فوجهه فيه بقية من حيوية"[٢] وهذا يعني أن شخصية الكهل تتمتع بالحماسة والتطلع إلى حياة متميزة؛ ويشارك هذه الشخصية في الإيجابية الفتاة ارتبطت به؛ فهي ترغب في "الغناء والرقص والمرح"[٣]، وارتبطت به لأنها تحتاج إلى "رأي حكيم، وأنها تحت رعاية عنيفة لا تعرف الرحمة، بلا أمل..." [٤].

ثالثًا: النموذج السلبي:

من المتعارف عليه أن " الفضيلة والرذيلة تتنازعان القلب البشري، فإن أعيت القلب التربية الصحيحة والمبادئ القويمة، استقوى على الرذيلة وساد بتلك وداس هذه، وإلا هبطت به الرزيلة إلى درك الشقاء، فللفضيلة أنصار كما للرذيلة، ولكل نصير وجزاؤه من نوع عمله"[٥].

ويطرح لنا الكاتب في قصة "عيون" النموذج السلبي متجسدًا في شخصيته (عدلية) التي كانت تعمل خادمة عند بطلة القصة (عيون) القعيدة بالعاجزة؛ فكانت (عدلية) تسيطر عليها وتساومها وتضطهدها؛ وهذا ما أورث

(١) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية صـ٢٤٦ (مصدر سابق).

(٢) السابق نفسه: صـ٢٤٦.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية: صـ٢٤٧ .

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية: صـ ٢٤٩ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص١٨٤، ١٩٥... .

(٥) أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب المصري الحديث في مصر صـ٤٩ (دار المعارف، ط٣، ١٩٨٦).

لدى (عيون) الخوف والقلق "فإذا قررت عدلية يومًا التخلي عن خدمتها تركتها للضياع..." [١]، فقد استشهد وحيدها في إحدى المظاهرات فاشتد القهر بها " وغلى الدم في عروقها، لا شك أن وحيدها الفقيد قد عانى انفعالاً كانفعالها هذا هو الذي دفعه إلى الموقف الذي أودى بعمره اليافع..." [٢]، ويحمد للكاتب أنه كان يعرض للنموذج السلبي، ثم يجعل نهايته أليمة من خلال وجود شخصيات إيجابية تعمل على استنهاض الهمم، فوجدنا هنا الشيخ طه الذي وقف إلى جوار (عيون) من استغلال (عدلية)، فكان له أكبر الأثر في تحول ضعف (عيون) والقيام بمواجهتها فقالت: "عليك أن تنفذي مشيئتي دون مناقشة"... أنا لا أخشاك، لست تحت رحمتك..."[٣]، وهذا إيحاء من الكاتب بضرورة التكاتف ورفض الاستسلام للسلبيات، وبث روح الأمل في النفوس، ولن يكون ذلك إلا من خلال التغلب على الواقع وقضاياه والعمل باستمرار على حياة أفضل.

وفي قصة "المجنونة" نجد النموذج السلبي متجسدًا في أصحاب النفوذ؛ الذين يعملون دومًا على إشاعة الأكاذيب والتلاعب بحياة الناس؛ حتى يصير أهل الحارة في صراع وتشابك مستمر؛ مما يؤدي إلى ضياع الحقيقة والتفكير في المجهول " فما أكثر المعارك في حارتنا... حتى أمسى جونا مشحونًا بالتربص والحذر والكراهية والخوف... جو سريع الاشتعال قابل في أي لحظة للانفجار..."[٤].

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود ص١٥٦ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية: ص١٦٢.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود: ص١٧٠.

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود ص١٣٠ (مصدر سابق).

ويجسد الكاتب في قصة "روح طبيب القلوب" النموذجي السلبي من خلال ولي الضريح الممثل للسلطة وكذلك خادمه والشرطي، فجميعهم يتسم بالاستغلال وبرز ذلك عندما أرادوا أخذ قطعة الحلي من الفتاة، واقتسموا فيما بينهم تلك الغنيمة، ويتحجج الخادم بأن ذلك من باب الرزق غير معلوم ويقول: "الله يرزق من يشاء بغير حساب"(١) ويؤكد الكاتب على ذلك عندما اضطر الولي وخادمه إدخال الشرطي معهم في الغنيمة، فالقانون "لا يغمض عينيه بلا ثمن"(٢)، ويحمد للكاتب هنا أنه جسد النموذج السلبي وفي الوقت نفسه جسد لمن يجابهه وينتصر عليه، ورصد ذلك من خلال الفتاة التي أجبروها على عمل تمثيلية لتضليل الناس؛ لكنها في نهاية القصة تنجح في القضاء عليهم، وتعود ومعها الحلي(٣).

ويسطر الكاتب في قصة "الخلاء" النموذج السلبي متجسدًا في (لهلوبة) الذي سلب المعلم (شرشارة) عروسه يوم زفافه؛ فهاجر شرشارة لمدة عشرين عامًا، وبعد ما عاد أراد الانتقام؛ لكنه علم أن (لهلوبة) مات بالتسمم وسيطر على (شرشارة) الحزن، وآثر العزلة فلم يعد يرغب في "أن يرى الناس أو يروه، وكان ثمة طريق الخلاء فمضى نحو الخلاء..."(٤).

وفي قصة "الصدى" يطرح لنا الكاتب النموذج السلبي من خلال الأم التي تجسد الوطن، فالأم تتسم بالقسوة ومع مرور الأيام أضحت عمياء صماء،

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص١٢١.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص١٢٥.

(٣) انظر السابق نفسه: ص١٢٨/ ١٣١/ ١٣٦.

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص٣٨ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص١٤١،١٠٦،٦١،٨٨...

وأبرز الكاتب ذلك في قول ابنها عبد الرحيم: "لا تبرأ من صفة الصخر"[١]، ويقول أيضًا: "ولأنك أمنًا حقًا... فقسوتك هي قسوتنا"[٢]، والكاتب بهذه الصفات يبين أن الأم المجسدة للوطن أصبح التواصل بينها وبين أبنائها بعيدًا جدًا، وهذا ما أدى إلى الهجرة من جانب الأبناء وحب العزلة.

وفي قصة "كلمة غير مفهومة" يرصد الكاتب النموذج السلبي من خلال شخصية حندس؛ التي تتسم بالبطش والقوة والاستبداد، لهذا لم يتمكن أحد من الوقوف أمامه؛ فاسمه "يستجمع فكرة الظلام والظلم"[٣]، وكعادة الكاتب في اغلب قصصه تكون نهاية الشخصية التي تتسم بالسلبية هي الانهيار، وفي هذه القصة نجد نهاية حندس سقوطه قتيلاً بين أصدقائه[٤].

ويطرح الكاتب في قصة "الحجرة ١٢" النموذج السلبي في شخصية (بهيجة) المجسدة للصراع الطبقي ؛ فهي تتمتع بالثراء الفاحش، وحينما ذهبت للسكن في بعض الفنادق؛ نجدها لا تجلس إلا مع مثيلاتها من أبناء طبقاتها الأغنياء، وينجح الكاتب في إبراز نهاية الشخصية السلبية؛ إذ عندما بدا على الفندق الانهيار؛ نجد عدم نجدة بهيجة فالجميع ابتعد عنها، وبرز ذلك في قول المدير: "أما الحجرة ١٢ فأهملوها بجميع من فيها..."[٥].

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص٢٣.

(٢) السابق نفسه: ص٢٣.

(٣) سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ ص٣٦٧ (دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٦).

(٤) انظر نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود ص٦/ ١٠/ ١٤ .

(٥) نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة ص١٠١ (مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٣م) وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص١١٠،١٩٨،١٣٩... .

ويحمد للكاتب أنه – في أغلب قصصه – كان يضع أمام النموذج السلبي نموذجًا إيجابيًا، وتكون النهاية بانتصار النموذج الإيجابي وانهيار النموذج السلبي، وقد تمت الإشارة إلى هذه النماذج السلبية في قصص الكاتب؛ عند الحديث عن الجانب المضموني وكذلك النهايات، والكاتب قد انفعل بقضايا الواقع الذي جسده، وعبر عن ذلك من خلال إبداعه القصصي، واعتنى بالفرد" ونزعاته... وإنصافه مع طغيان المجتمع وقيوده الظالمة..."[١].

(١) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث صـ٥١٢ (دار الثقافة، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣).

المبحث الرابع: النهايات في قصص الكاتب

من المتعارف عليه أن النهايات تكون نتيجة لمجريات أحداث النص القصصي، والكاتب المتميز هو من يشارك المتلقي لنصه الإبداعي من خلال توقع الأحداث والمشاركة في صنعها؛ خاصة أن النهاية لدى الكاتب تعد دعوة لإعادة النظر في أحداث الو اقع الذي نعيشه في حياتنا.

وقصص الكاتب القصيرة كانت مجسدة لذلك؛ إذ نجد أحد شخصيات "المعجزة" تلجأ إلى الخمارة بعد أن تعثرت أحلامه؛ لينسى من خلالها واقعه المر، ويحاول أن يبحث عن اسم غير مستعمل حتى لا يعرفه أحد، فيختار (زيد زيدان زيدون)، ويحاول التنبؤ بالعديد من الأحداث؛ ليعوض ما يشعر به من آلام إزاء هذا الواقع المؤلم الذي يعيشه بسبب عدم توفر العدالة؛ فيتنبأ بوفاة رجل يجلس في المقهى لكن يكتشف فشله بعد ما يعلم أن هذا الرجل هو من يناديه باسمه الغريب (زيد زيدان زيدون) وهنا تشعر الشخصية بالإحباط؛ فيقوم بطعن عنقه "فتنتهي بهاجس يحقق؛ حين يقتل من حطم وهم المعجزة في النفس"[١]، فالنهاية هنا تجسد لجوء الشخصية إلى الأوهام ليخفف من ثقل الواقع وأحداثه عليه.

وفي قصة "نافذة في الدور الخامس والثلاثين" نجد انتحار البطل، وكان ذلك متلائمًا مع دور البطل في القصة؛ فالبطل يتصف بالسلبية؛ لذا جعل الكاتب المكان مجسدًا لتلك السلبية؛ إذ إن البطل يسكن في الدور الخامس والثلاثين، وهذا يوحي بانعزال البطل عن المجتمع، ورغبته في الفردية؛ لأنه يرى

(١) نجيب محفوظ : مجموعة (خمارة القط الأسود) : (مكتبة مصر ، ط٣، ١٩٧٤) صـ١٢٢.

الواقع من خلال هذه النافذة بأنه لا ملامح فيه وأنه أهدر حياته عندما عاش فيه[١].

وقد جسد البطل ذلك في مواقف متعددة؛ فهو يجد أن الذي ينظر من النافذة؛ لن يكون له مكان، كما أنه لن يستطيع رؤية الناس، ولن يتضح له "أثر لهمومها ومشاكلها"[٢]، ويظل البطل في العزلة والسلبية معتقدًا أنها السبيل الوحيد للتعايش مع ظلم الواقع، فيقول: "كانت الهموم قد قصمت ظهري، استولى عليّ الإعياء والإرهاق، وذات يوم وجدتني أطل على المدينة من هذه النافذة، وألهمت الحقيقة... مدينة مجردة ولا أثر للهموم"[٣].

ويحسب للكاتب النظرة الإيجابية لإحدى شخصيات القصة؛ التي ترى بأنه "لابد في النهاية من الرجوع إلى الجبهة... والسلام"[٤].

وفي قصة "فنجان شاي" نجد البطل يبتعد عن الواقع؛ فيجلس في غرفته يطالع الجرائد التي تبرز ما يمر به الواقع من أزمات أحاطته، والنهاية هنا تجسد السلبية لدى الشخصية؛ من خلال عجزهم عن التكيف مع أحداث الواقع المؤلمة أو محاولة تغييرها، فالواقع به "طلقات نارية، انفجار قنابل، أزيز طيارات..."[٥] وهي مجسدة لقلق الشخصيات واستسلامهم لتلك الأحداث، ويحسب للكاتب إبراز الجوانب لسلبية ونقدها وإبراز شخصيات أخرى إيجابية

(١) انظر: نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل: (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣) صـ٢٢٤.

(٢) نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل: صـ٢٥٤ .

(٣) السابق نفسه: صـ٢٤٢.

(٤) نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل: صـ٢٤٤ .

(٥) السابق نفسه: صـ١١٤ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص٨١،٧٩،١٠٣..

توحي بالأمل في المستقبل، وتجسد ذلك في حوار رجل الفراش والفتاة التي تجسد الخداع في القصة؛ فيقول رجل الفراش: "لقد عانيت من صراعهم، فمن حقي أن أشاركهم بعض المسرة!... وتنكر الفتاة عليه قوله... لا أنت من أهل المال ولا من أهل الفن فيتساءل منكر، - أفندم؟ سمعي ثقيل؟؟؟ إني أمارس حريتي"(١).

وفي قصة "الصدى" يعود عبد الرحيم إلى بيته بعد هجرته عنه نتيجة قسوة والدته التي تشير إلى الوطن، وهنا تتجسد المعاناة لدى الشخصية، ففي بداية القصة كانت الأم تقابله بالشدة؛ وفي نهايته أضحت تقابله بالصد والهجر، وهذا ما جعل الشخصية تتصارع بين الاستسلام والتنبؤ بالحب والانتماء للوطن المتجسد في الأم، فيقول السارد: "بعد لحظة سينفتح الباب عن الوجه القديم... الرصاص والمآسي"(٢).

ونجد السلبية لدى الشخصية في قصة "النوم" إذ نجد البطل يعجز عن دفاعه عن حبيبته بعد استغاثتها إياه؛ فهو في نوم ولا مبالاة بأحداث الواقع، والحبيبة هنا تجسد الوطن، وهذا يعني تخلي الجميع عن قضايا الوطن، وأبرز الكاتب سلبية تلك البطل في النهاية عندما قال: "ما أحوجني إلى نوم طويل"(٣). وهنا يلجأ البطل إلى تحضير الأرواح لعله يصل إلى واقع مأمول.

وفي قصة "الرسالة" نجد النهاية متوافقة مع عنوانها؛ فالعنوان يوحي برسالة أرسلت إلى سالم عبد التواب، وبها تلك العبارة "جاء الأجل"(٤) والعبارة

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص٧٨.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود ص١٩.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة الشيطان يعظ (مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٩) ص٢٧.

(٤) السابق نفسه: ص٢٩.

توحي بالنهاية الحتمية وهي الموت، وبرزت تلك النهاية عندما جاء البرجواني للصلاة في منزل سالم عبد التواب؛ وإذا برصاصة تنطلق "انطلقت رصاصة قتلت حبيبي الفران"[١] وتكون نهاية سالم والصبي؛ تحقيقًا لما جاء في الرسالة.

ونجد النهاية في قصة "الحجرة ١٢" تشير إلى نهاية بهيجة الذهبي التي تجسد الصراع الطبقي في القصة؛ فالقصة تحكي نزول بهيجة الذهبي لفندق يوحي بالفراق والتواجد المؤقت، وتمكث في الحجرة ١٢ ولا ترغب في زيارة الطبقات الأقل من مستواها؛ لذا نجح الكاتب في اختبار الفندق لنزولها به فهو يوحي بالنهاية القادمة لها لأنه نزول مؤقت، والنهاية تجسد ذلك؛ إذ نجد نهاية بهيجة ومن معها من طبقتها؛ عندما بدأ النزلاء يخافون من غرق الفندق "والنزلاء قد انحشروا وانزلقوا..."[٢]، وهنا يقوم الشعب لإنقاذ الفندق من الغرق، ويتفقون على ترك الحجرة ١٢؛ فهي لا تستحق الإنقاذ "ركزوا على السطح فوق الحجرات النزلاء؛ أما الحجرة ١٢ فأهملوها..."[٣] وهنا كانت النهاية بالخلاص عن مجسد الفساد المتمثل في بهيجة وأعوانها، والحفاظ على الفندق وباقي النزلاء؛ فهم الأمل لعودة الانتماء والعدالة[٤].

ويجسد الكاتب في قصة "ضد مجهول" مدى تحكم السلطة في الأفراد وأنهم لن يستطيعوا التعبير عن مرادهم، والذي يتجاوز ذلك فمصيره الخنق والمودة، فالقصة تحكي حدوث جرائم متعددة وآلياتها واحدة هي الخنق لمن

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود: صـ٢٩٣ .

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة (مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٣) صـ١٠٠.

(٣) السابق نفسه: صـ١٠١.

(٤) انظر: السابق نفسه: صـ٩٠/ ٩١/ ٩٨ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص،٢٠٠،٢٢٦،٢٠٠،١١١،٢٣١....

يتجاوز تعليمات السلطة؛ حتى ولو كان من نفس طبقتهم والنهاية جسدت ذلك؛ إذ وجدنا خنق المحقق محسن عبد الباري وهذا يوحي أن من يسأل أو يحاول تجاوز التعليمات؛ فسيكون مصيره الخنق "الحياة التي يقضي عليها حبل مجهول فتصبح لا شيء... واشتد الدوار كما يحدث عند يقظة مفاجئة عقب نوم عميق..." [١].

وفي قصة "روبابيكيا" يجسد الكاتب رغبة بعض الأفراد في المادية والبعد عن القيم الأخلاقية؛ ويوضح أن النتيجة الطبيعية لذلك تكون الهلاك؛ فالقصة تحكي عن ثلاثة رجال: الأول: تاجر ذهب والثاني: فتاة جميلة تحب التملك ولا تعرف للانهزام أو العجز طريقًا، والثالث: بائع روبابيكيا، بائع الذهب أراد المادة ورغب فيها فتزوج من الفتاة وكانت تصرف بكثرة، ونتج عن ذلك فقر تاجر الذهب وتخلي الفتاة عنه، ثم يصير الأمر نفسه لبائع الروبابيكيا بعدما رغب في الزواج منها على الرغم من تحذير الرجل الملعون له (الزوج الأول لها)؛ لكن بائع الروبابيكيا لم يستمع للنصيحة وكانت نهايته أيضًا الفقر وتخلي الفتاة عنه، وهذا إيحاء من الكاتب بأن طريق المادة أهواله ستؤدي إلى القضاء على الشخص، وهذا ما حدث في نهاية القصة؛ إذ إن بائع الذهب تلقى الطعنات وألقوه في الخلاء، وتجسدت تلك النهاية في سرد الرجال الملعون "كيف تلاشى شكلك الآدمي... فيقول مررت بمحنة مماثلة في زمن ماض"[٢] وهذا يعني أن الشخص الراغب في الاستحواذ على المال تتغير أوضاعه إلى التحطيم.

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤) صـ١١٨.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣) صـ١٩٠.

وفي قصة "روح طبيب القلوب" نجد النهاية الإيجابية؛ فالقصة تتناول استغلال السلطة لجهل الناس، وجسد هذا الاستغلال ولي الضريح وخادمه والشرطة وشخصية وجيه، وبرز ذلك في محاولة الاستيلاء على قطعة الحلي الموجودة مع الفتاة التي تجسد العدالة، وهنا تجبر السلطة الفتاة على القيام بتمثيلية توضح للشعب أن هذه الحلي هي ملك للسلطة، وتجسد الفتاة ذلك؛ لكن في نهاية القصة نجد إيجابية الفتاة وتمردها على الظلم، وتبين للشعب أنها تعرضت للإيذاء "هددوني بالقتل إن لم أتكلم على هواهم"[١] وتحث الفتاة جموع الشعب على التماسك، وهذا ما جعل الشباب يزداد قوة "فخطر له أنها فتاته الموعودة فازداد قوة واستبسالاً"[٢]، وهذا يعني أن التماسك هو الطريق الأمثل للتخلص من الاستغلال.

وتقوم قصة "الجريمة" على إبراز حالة الخوف التي تسيطر على الشخصية بسبب سيطرة القوة الغاشمة عليهم، وهذا ما جعل نهاية الشخصية مجسدة في الإحراق، كما حدث لفتاة الحي الشرقي، كما أن رجال النظام يقومون بوصف الشخصية التي تخالف النظام بالمريض العقلي، وكأن هذا المرض كان هو السائد في هذا المجتمع، وأشار السارد إلى أن جثة الفتاة قد وجدوها "وهم يحفرون الأساس لبناء مصلحة للأمراض العقلية"[٣].

وفي قصة "وجهًا لوجه" يجسد الكاتب أثر العداوات على حياة البشرية ويوضح أن هذه العداوة تكون سببًا في انتهاء حياة الكثير من البشر؛ فهي تؤدي إلى الحروب "لكن لماذا تقوم الحروب؟... العداوات، الألمان يستعدون لهذا اليوم

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل (مصدر سابق) ص١٤٩.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص١٥٠.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة ص٦٥(مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٨).

منذ أكثر من عشرين سنة... الناس لا ينسون العداوات..."[١]، ونهاية القصة تجسد ذلك؛ إذ نرى قتل ماسح الأحذية على يد صعيدي بسبب ثأر قديم استمر عشرون عامًا.

ويبين الكاتب أهمية العلم وأنه السبيل للتطور والتقدم، وكان ذلك في قصة "وليد العناء" التي يشير فيها إلى فقدان أم لجنينها أكثر من مرة؛ لأنها لم تعتمد على الأساليب الحديثة، ولا تزال متشبثة بالقديم، ويظل الكاتب مناديًا بالعلم فهو سبيل الإصلاح، وفي نهاية القصة يدلل على ذلك بأن الأم لم يجهض حملها الأخير؛ لأنها آمنت بالعلم وكذلك آليات التكنولوجيا الحديثة، وذلك تجسد أيضًا عندما جاءت إحدى الشخصيات بالمولود ووضعه أمام شخصيات القصة كالذبيحة، لكن في نهاية القصة ينتصر الجنين؛ إذ قام "بلكم الرجال الأربعة... فتجمدوا وسقطت المسدسات من أيديهم... وعاد الوليد إلى حضن أمه"[٢]، والرجال الأربعة يوحي بهم الكاتب بالمعرقلين؛ الذين يرغبون في قتل الوليد المجسد للجديد وضرورة استخدام وسائل العلم الحديثة؛ لذا كانوا دومًا في حالة عدم استقرار بسبب هذا الوليد ويرغبون في القضاء عليه ويقولون : "إن جميع من شهد الولادة مشتركون في الجريمة..."[٣].

ويشير الكاتب في قصته "الفأر النرويجي" إلى الخداع والتضليل من جانب أصحاب السلطة للناس، وظهر ذلك في اختراع حدث الفأر النرويجي وأنه سيكون سببًا في إنهاء حياتهم، وعليهم أن يقوموا بخطة للقضاء على هذه الفئران؛ لكن في نهاية القصة ينقد الكاتب استسلام الناس لهذا التضليل،

(١) نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة (دار مصر للطباعة ، ١٩٦٦) صـ١٧٢.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل (مصدر سابق) صـ٢١٦.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: صـ٢١٩.

وظهر ذلك في حديث إحدى الشخصيات رمز لها بـ (أ . م) إذ يقول: "النشاط متقد على أكمل وجه، والخسائر لا تذكر؛ وسوف نصبح من أهل الخبرة في مقاومة الفئران..."(١).

وفي قصة "الخلاء" يرصد الكاتب النتائج المترتبة على تحطم آمال الشخصية المجسدة للواقع؛ فالقصة تسجل عودة المعلم (شرشارة) للانتقام من لهلوبة؛ الذي كان السبب في اتهام زوجه ليلة زفافه؛ لكنه لم يتمكن من الانتقام؛ إذ إن القصة توضح أن لهلوبة قد توفي، وأن زوجه التي كان يحبها أضحت أمًا ولا تتسم بالقوة كما كانت؛ لذا أثر شرشارة الوحدة، ولم يعد له أي استعداد لرؤية أحد وبدا عليه العزلة " فمضى نحو الخلاء"(٢).

وفي قصة "ثلاثة أيام في اليمن" يوحي الكاتب إلى هزيمة ١٩٦٧؛ فالقصة تسطر تجنيد إحدى الشخصيات في أصعب أنواع الأسلحة وهو المظلات، فذهب إلى قوات اليمن، وتعهد الكاتب لموت هذه الشخصية في أكثر من موقف؛ وظهر ذلك عندما يستشهد أحد الزملاء يقوم في الوقت نفسه بتذكر أهله؛ فيقول: "يظل الميت حيًا في وجدان أهله بمصر"(٣)، وتجسدت نهاية الشخصية أيضًا عندما سافرت للقوات دون تدريب، وفي نهاية القصة تكون نهاية هذه الشخصية ومقتلها، ويعقب السارد على ذلك بقوله: "إلى أن هناك شيئًا ما ينقصنا، لعله محو التناقض بين ما يقال وما يجب أن يقال..."(٤).

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص٥ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص٦٠، ٦٩، ١٩٧، ١٠٩، ٢٣٤...

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود (مصدر سابق) ص٣٨.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة (مصدر سابق) ص١١١.

(٤) السابق نفسه: ص١١٩ .

ويجسد الكاتب في قصة "حنظل والعسكري" نقده للواقع في عدم توفر الأمن والسلامة؛ فالقصة ترصد إدمان حنظل، تلك الشخصية التي تعيش بلا هدف؛ ويعلل الكاتب ذلك بتعنت الشرطة معه، ثم يبين الكاتب المفارقة في تحول معاملة الشرطة معه – من خلال الحلم – فالواقع لا يقر بتلك المعاملة الطيبة التي قام بها مأمور القسم مع حنظل؛ إذ أودعه في مصحة للعلاج، وطلب منه أن يتمنى ما يشاء، وتكون نهاية القصة بأن تلك المعاملة الحسنة هي ضرب من الخيال؛ لذا جعلها الكاتب من أحلام الشخصية الحسنة؛ فالقصة توحي بأن تحقق الأمنيات يعد من هي الخيال؛ لذا كانت بداية القصة ونهايتها مجسدة لحالة الظلام التي تقطن فيها الشخصية؛ ويبين السارد في نهاية القصة ومعاملة الشاويش لحنظل معاملة سيئة؛ فيقول حنظل: "أين عهد المأمور يا شاويش؟ ... فيعاود ركله بلا رحمة ويصيح به: عهد المأمور يا مجنون يا مدمن ع القسم... فنظر حوله في ذعر فوجد طريقًا نائمًا وظلمة شاملة..."[١].

ويسطر الكاتب في قصة "المجنونة" تلاعب السلطة بالناس، وإشعال الاشتباكات بينهم؛ لإبعادهم عن الواقع، وتنجح السلطة في ذلك بسبب طيبة الناس وهنا يعبثون بمصائرهم من خلال الخداع والتضليل وتنتهي القصة متلائمة مع تلك الإرهاصات؛ إذ يتضح لدينا مدى غفلة الناس، وعدم إدراكهم لما يدور حولهم؛ لذا فهم السبب الرئيس لما وصلوا إليه، فهم يتساءلون دومًا عن أسباب اشتعال الاشتباكات فيما بينهم، وتكون النهاية هلاكهم "إذن هلكت الحارة لغباء غلام أو غباء رجل وهو الأصح أو غباء الحارة وهو الأصدق"[٢].

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود (مصدر سابق) صـ٢٠٦.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود: صـ١٤٠ .

وفي قصة "كلمة غير مفهومة" نجد الكاتب يرصد الجزاء من جنس العمل، وتوفر ذلك في شخصية حندس الذي يحلم بابن قاتله من فترة ويجهز نفسه لقتله كما قتل والده حسونه من قبل، ويظل الصراع حتى نهاية القصة، فنجد حندس يستشرف الانتصار، وأصحابه يؤكدون له ذلك "نحن حولك كالجدار"(١) ثم يتابعون ذلك بقولهم :"سنطرق الباب ثم نندفع كالمصيبة ولا من سمع..."(٢). وفي نهاية القصة نجد سقوط حندس صريعًا ويقول لأعوانه :"قتلت... بينكم..."(٣).

ويبين الكاتب في قصة "الهارب من الإعدام" أن لكل بداية نهاية وأن حب الذات نهاية حزينة، فالقصة تحكي هروب شخصية من الإعدام واللجوء إلى صديق له للقيام عنده؛ فأقام عنده سنة ونصف وفي نهايتها نشبت الحرب، وراجت تجارة هذا الصديق أثناء الحرب فقال أبو محمود: "يا ولد العم، ليست الحرب كما يقولون. الحرب نعمة كبرى... والإنجليز رجال..."(٤)؛ لكن تأتي نهاية القصة مجسدة القضاء عليها في غارة.

وفي قصة "خمارة القط الأسود" يسطر لنا الكاتب النموذج الإيجابي في واقع اتسم بالاستبداد من جانب أصحاب النفوذ؛ فالقصة تمثل اجتماع الناس في خمارة النجمة للتشاور وعرض القضايا المتنوعة؛ لكن أصحاب النفوذ لا يتركونهم؛ إذ يرسلون إليهم رجلاً غريبًا يهددهم، وقام بمحاصرتهم

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود (مصدر سابق) ص١٣.

(٢) السابق نفسه: ص١٤.

(٣) السابق نفسه: ص١٤ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص١١٩،١٤١،٩٩،٦٣،٩١....

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة (مصدر سابق) ص١٩٠.

"فهم سجناء بالخمارة رغم كثرتهم"[١]، لكن في نهاية القصة يظهر لنا أحد الأشخاص الذين يبثون الأمل وعدم الخوف في نفوسهم "أي داهية؟ ... أي ذل؟ ... وإذا بنظرة عين تشي بما يشبه الابتسامة..."[٢]، وبعد المقاومة من جانب الجماعة استجاب أصحاب النفوذ لمطالب الناس، فالقصة توحي بأن أصحاب النفوذ الذين يتسمون بالبطش؛ يستكينون لمطالب الناس؛ عندما يفيقون ويطالبون بالعدالة والأمن.

ويقارن الكاتب في قصة "الوجه الآخر" بين العقل والوجدان؛ العقل يجسد رجل السلطة عثمان، والوجدان والحرية يجسدهما رمضان، ويكون الصراع بينهما مستمرًا، وينتهي بهزيمة رمضان وموته، وهنا يتأثر الصديق الثالث الذي كان يوفق بينهما؛ إذ شعر بالاحتلال بعد رمضان، وأضحى ضعيفًا لا يقوى على شيء؛ لذا هرب من هذا الواقع المؤلم إلى الرسم، إن نهاية رمضان في القصة يوضح لنا أن "عالمنا يعيش هذا التمزق بين رغبة في الانطلاق... وتحكم القانون... بحيث تحول إلى سكون... وعندما انتصر أحدهما كانت النتيجة أن أصبح أعرج..."[٣].

وفي قصة "الختام" يجسد لنا الكاتب أن الحقيقة لا تخفى مهما طال الزمن، والقصة تتناول انتحار الشخصية التي قامت بتزوير في أوراقه الرسمية، وقد افتضح أمره من موظف مراجعة بيانات تعيينه وكيلاً للوزارة؛ فقد اكتشف

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود (مصدر سابق) صـ١٥٠.

(٢) السابق نفسه: صـ١٥١.

(٣) سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ (دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٦) صـ٣٦٥.

التزوير، وأضحت الشخصية بين أمرين: مساومة الموظف أو الانتحار، على الرغم من عزمه على الاستقالة وتوبته منذ فترة طويلة[١].

ويقوم الكاتب على إدانة السلبية التي تؤدي إلى الضعف وعدم التقدم؛ ففي قصة "تحت المظلة" يجسد لنا الكاتب سلبية الشخصيات، فهي تقبع تحت المظلة، ولا تدرك ما يدور حولها من أحداث، ولا تتحرك إزاء تلك الأحداث؛ لذا كانت نهايتهم والقضاء عليهم في نهاية القصة، وبرز ذلك عندما سألوا الشرطي عما يحدث حولهم، وكان الرد عليهم قاسيًا من جانبه؛ إذ "سدد نحوهم بندقيتهم، وأطلق عليهم النار"[٢]، والكاتب بذلك يشير إلى أن جزاءهم الموت؛ فقد استكانوا كثيرًا ولم يتحركوا بسبب الخوف الذي أفضى بهم إلى القتل.

وفي قصة "الحاوي خطف الطبق" نجد أن الواقع يقف عائقًا أمام وصول الشخصيات إلى مرادها حتى ولو عن طريق الخيال؛ فالقصة تدور حول الطفل الذي خرج ليشتري الفول؛ لكن الطفل في الطريق يحتار ويتساءل عن نوع الفول الذي تريده الأم، ويذهب لنداء وجدانه وحبه إلى الحاوي الذي يتميز بألعابه وأعماله، ويجلس مع حبيبته من خلال الحلم؛ لكن الواقع يقف أمام هذه المشاهد المتسمة بالحب؛ إذ تنادي الأم عليها، فتضطر الحبيبة إلى مغادرته، كما أن الحاوي في النهاية يقوم بعتاب الطفل بصوت مرتفع؛ لعدم دفعه الأجر بعد ما قام بمشاهدة أعماله[٣]، ويتابع الكاتب تأكيد وقوف الواقع أمام أمنيات الشخصيات، فيجسد ذلك من خلال لقاء رجل مع امرأة ينتهي

(١) انظر نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة (مصدر سابق) صـ١٤٨.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة (مصدر سابق) صـ١١.

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة: صـ٥٦ .

بقتل الرجل للمرأة؛ فيحاول الطفل الرجوع إلى الحنان إلى أمه؛ لكنه يعجز؛ إذ إنه "يقتعد جانبيه شحاذون لا يبصرون"(١).

وفي قصة "المتهم" يسطر لنا الكاتب أن بعض النهايات تأتي مصادفة؛ فالقضية تحكي وفاة رجل عندما كان يستقل دراجته فرحًا، ثم يتعلق بمؤخرة سيارة قادمة، وتحدث المفاجأة عندما تضطر السيارة التوقف بسبب وجود ماعز أمامها، ويقضي على هذا الرجل، ويتهم بقتله رجل بالطريق، ويتساءل سخرية لماذا اتهموني أنا بالذات؟، وتأتي الإجابة في قوله : "لقد تم التعارف اليوم، بيني وبين أشياء لم أعرفها قبلاً إلا بالسماع: المصادفة، القدر، الحظ... كل شيء يجب أن نعيد التفكير فيه..."(٢).

وتجسد قصة "الرجل الذي فقد ذاكرته مرتين" الصراع المشتعل بين المادة والحفاظ على القيم؛ فالقصة تتناول وجود رجل في فندق ولا يدري أي شيء عن حياته، ويتعرف على مالك الفندق، ويطلب الزواج من ابنته، ومع مرور الأيام تتواجد فنادق أخرى حديثة، وهنا يكون الصراع ضد أصحاب هذه الفنادق؛ الذين يريدون تملك هذا الفندق، ويظل الأمل من خلال الابن الذي يأملون من خلاله إحياء ذلك الفندق، والكاتب حاول في النهاية إنهاء الصراع بعد فقد ولدين بسببه، واعتمد في إنهاء هذا الصراع على الابن القائم ببحث في "إعادة بناء الفندق بلا تكاليف تذكر... فهو أنجح في إعادة البناء من اعمال الصراع..."(٣).

---

(١) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة: ص٦٤ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص١٦٥،١٣٣،١٢٩،٩١،١١٩...

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود (مصدر سابق) ص٧٠.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية (مصدر سابق) ص٢٣٦.

ويسطر الكاتب في قصة "حلم نصف الليل" ضرر الأطماع؛ فالقصة تجسد قيام عباس بقتل أزواج أمه؛ نظرًا لطمعهم في أموالها ومحاولة الاستيلاء على دكانها، وناجى عباس نفسه بأنه يصعب وجود أب بديلا لوالده: " وصاح بأعلى صوته... يا أم عباس... الله يسامحك"[١]، وكان مقتل العريس الأول منتصف الليل؛ لأنه كان يعذب الأم، ويقوم باضطهاد الابن، ثم يكون مقتل الزوج الثاني بعد استيلائه على أموال الأم ودكانها، فالقتل هنا كان بسبب طمع الأزواج في مال تلك المرأة الأرملة[٢].

نخلص مما سبق إلى أن النهايات في قصص الكاتب كانت دعوة من الكاتب لإصلاح المفاسد وتحويل الصفات السلبية إلى مواطن إيجاب وقوة؛ كما أنها كانت نداء من الكاتب للنظر في الواقع الذي نعيشه، ويحسب للكاتب أيضًا أن النهايات كانت متسقة مع تسلسل أحداث القصص فالكاتب كان مهمومًا بواقعه، والأديب الناجح هو الذي لا يجعل فجوة بين ما يعانيه وبين ما يعانيه أبناء وطنه؛ إذ إنه يجعل من معاناته أداة يستطيع من خلالها تجسيد ما يمور في أبناء مجتمعه[٣].

(١) نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة (مصدر سابق) صـ٢٢.

(٢) انظر السابق نفسه صـ٢٥/ ٢٨ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص٢٤٠،١١٨،٢٣٧،١١٢،١٣١... .

(٣) انظر محمد حامد الحضيري: ماهية الأدب ومهامه في النقد الأدبي الحديث صـ٤٦ (مطابع غزلان بالقاهرة، ط١، ١٩٩٢).

المبحث الخامس: البيئة في قصص الكاتب

أولاً: المكان:

من المتعارف عليه أن المكان له دور رئيس في العمل القصصي؛ إذ يبرز الكاتب أفكاره من خلال انتقاء الأماكن التي تجسد أفكار الكاتب، وهذا ما جعل "جوليا كريستيفا" تتناول الفضاء النصي وتبين أن الفضاء يتحول لديها إلى وجهة نظر يطرح من خلالها أفكار الكاتب، فتقول: "هذا الفضاء محول إلى كل، إنه واحد وواحد مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب..."(١).

ويطرح الكاتب في قصة "الحجرة ١٢" المكان من خلال تلك الحجرة التي تشمل أحداث القصة، فالمكان هنا هو المكان الإطار الذي يمسك التجربة، واستخدام الكاتب للحجرة ١٢ وهي الحجرة التي كانت تقطن فيها بهيجة الذهبي ويتم تناول الصراع الطبقي من خلالها، فهي تحب المال فقط ويسيطر عليها الاستغلال وحب الذات؛ لذا كان المكان مجسدًا للنظام المبني على الجشع، ويحمد للكاتب أنه اختار الفندق مسرحًا للأحداث؛ فهو يشير بذلك إلى الأمل؛ إذ إن السكن في الفندق يوحي بأن الإقامة مؤقتة وأن دوام الحال من المحال، ولجأ الكاتب إلى الطبيعة المشاركة لحالة القلق لدى الشخصيات، فيقول السارد: "فقصف الرعد مستمر، والسماء ملبدة بالغيوم، وقد تصاعدت الشكوى من الحجرة رقم ١٢ من رشح السقف والبلل..."(٢).

---

(١) جوليا كريستيفا: علم النص صـ٤٦ (دار توبقال، الدار البيضاء، ط١ ، ١٩٩١) ت: فريد الزهي.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة صـ٩٧ (مصدر سابق).

ويجسد الكاتب في قصة "الخلاء" مشاركة الطبيعة لأحداث القصة؛ فهي الراصدة لحالة شرشارة النفسية بعدما عاد لينتقم من لهلوبة الذي اقتنص منه عروسه، فيقول السارد: "ألقت الشمس المائلة على اللاثات المزركشة، أشعة حارة ودار هواء خماسيني مجنون فلفح الوجوه ونفخ في الجو اكفهرار ومقتًا"(١).

وفي قصة "الرجل الذي فقد ذاكرته مرتين" يرصد لنا الكاتب المكان الإطار الذي يمسك تجربة أحداث القصة؛ إذ نجد الفندق الذي يمتلكه إحدى الشخصيات المجسدة للثروة والرغبة في المادة، واعتمد الكاتب على معبر لهذه الأحداث؛ فكان الضمير الذي "يقبع فوق الجبل في شرفة... تسبح في ظلام دامس..."(٢)، والنص يبين أن الضمير غير مستقر وليس له قوة على بطل القصة الذي يرغب في المادة، وكان ذلك عندما وصف موقع الضمير بأنه يقطن في شرفة فوق الجبل "يوجد بها رجلان شبحان جلس أحدهما فوق كرسي هزاز ومثل الآخر بين يديه"(٣)، فالفندق هو الركن الرئيس في أحداث القصة التي تبرز الصراع بين المادة والأخلاق وكذلك القديم والجديد؛ فالفندق الذي يمتلكه إحدى شخصيات القصة مع مرور الزمن أضحى آيلاً للسقوط، وتواجد بجانبه أكثر من فندق ويريد أصحابهم القضاء على الفندق القديم(٤).

ويتابع الكاتب إبراز أهمية المكان من خلال قصة "تحت المظلة" فالمحطة هنا المكان الإطار والمحور الرئيس الذي يسرد من خلال أحداث القصة؛

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٣٨ .

(٢) نجيب محفوظ: حكاية بلا بداية ولا نهاية صـ٢١٢ .

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة بلا بداية ولا نهاية صـ٢١٢ .

(٤) انظر: السابق نفسه : صـ٢٢٠/ ٢٢٥.

فالكاتب يتناول السلبية المجسدة في عدد من شخصيات القصة يجلسون تحت مظلة المحطة يشاهدون الأحداث ولا يشاركون فيها؛ فهم بداخل المظلة بحجة اتقاء المطر المنهمر؛ لكن الدراسة ترى أن المطر المنهمر هنا يعني به الكاتب أحداث القصة التي يحاولون البعد عنها وعدم المشاركة الإيجابية فيها فقد "لاذوا بها خوف البلل"(١).

ويسطر الكاتب لنا – أيضًا – المكان الإطار في قصة "نافذة في الدور الخامس والثلاثين" والقصة تتناول إدانة السلبية والعزلة؛ لذا اتخذ الكاتب من ذلك ما يدل على هذا المعنى فكانت النافذة في الدور الخامس والثلاثين، ولا شك بأن علو المكان وارتفاعه يوحي لنا بانعزال الشخصيات عن الواقع والأحداث؛ لذا فكان السارد يرى المدينة بأنها "مجردة بلا ملامح، بلا مشاكل ولا أفراح ولا هموم"(٢). وقد قصد الكاتب هذا الارتفاع ليوحي بأن هذه الشخصيات لا تأثير لها ولا تأثر بما يحدث حولها.

ويجسد الكاتب المكان الإطار في قصة "فنجان شاي"؛ إذ إن أحداث القصة يتم تناولها من خلال حجرة نوم البطل أثناء قيامه بشرب الشاي؛ فيطالع الجريدة اليومية وما بها من أحداث وقضايا تجسد ما يجري في العالم الداخلي والخارجي من قضايا تمس الفرد، كقصة صراع المارك والفرنك؛ فصراع العملات لا يعود على الفرد، بل تجعله يقبع في الظلام(٣).

وفي قصة "كلمة غير مفهومة" يلجأ الكاتب إلى الطبيعة المعبرة عن نفسية الشخصيات، فحندس يمثل الاستبداد وقام بقتل غريمه منذ عشرين

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٥.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ٢٢٤.

(٣) انظر السابق نفسه : صـ٨٥/ ٨٦ .

عامًا، ورأى ابن غريمه في الحلم فبدا عليه الخوف خاصة أنه لا ينسى توعد غريمه له وقوله له سأقتلك وأنا في القبر؛ هنا لجأ الكاتب إلى الطبيعة الكاشفة عن حالة الشخصية النفسية، فالبطل يقبع في "ليلة شديدة الظلام" وقد تأثروا بها كثيرا وكانت هذه الظلمة مخيمة عليهم، ومؤثرة على نفسيتهم " فقد حملقوا في الظلمة المستحيلة ولكنهم لم يروا إلا العمى"(١).

نخلص مما سبق إلى أن أهمية المكان تنبع من خلال الأماكن التي تمت فيها الأحداث ويصير الانتقال بينها، وكذلك من خلال الشخصيات، وكما أن الأهمية تبرز من خلال المكان الإطار وهو المرجع الذي من خلاله تتم جميع الأحداث؛ فيكون المكان هو المتحكم في التجربة، ومن خلاله تكون الأحداث واللجوء إلى التقنيات التي يعتمد عليها الكاتب في إبداعه القصصي.

ثانيًا: الزمان:

من المتعارف عليه أن الزمان من أركان الفن القصصي الرئيسة، وهو يتنوع من خلال تنوع استخدام الكتّاب له؛ فمرة نجده متجسدًا في الشخصيات والمكان، ومرة أخرى نجده متجسدًا في الزمن الإطار، وهو الزمن الخارجي للقصة الذي يتكون من الإشارات الخارجية التي تحكمت في النص القصصي(٢).

ويعبر الكاتب عن الزمن في قصة "نافذة في الدور الخامس والثلاثين" من خلال الاسترجاع؛ إذ إن البطل قد ارتكب الكثير من الآثام في الماضي وقد استرجعها اليوم وهو في سكنه في الدور الخامس والثلاثين، فيقول السارد: "وقد

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٤ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراءص،١٤٢، ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٠٠....

(٢) انظر: بوريس أو سبنكي: مقال: وجهة النظر صـ١٠٢ (دار عويدات ، بيروت، ١٩٧١) .

غاب هيكله النحيل في ظلمة المغيب"[١]، فالماضي هنا يجسد الضياع والظلمة، ويؤكد ذلك - أيضًا – في قوله : "إنها ذكرى الجحيم في حياتي"؛ إن القصة تتحدث عن السلبية والعزلة عن الواقع؛ لذ اختار الكاتب لبطلها السكن في الدور الخامس والثلاثين، ويتابع البطل استرجاع ماضيه؛ فيتذكر زوجة صديقه التي سلمت له نفسها "إنها انهارت واستسلمت ولم تقاوم"[٢].

وفي قصة "الرجل الذي فقد ذاكرته مرتين" نجد تقنية الاسترجاع؛ فالقصة تتناول الصراع بين القديم والجديد وكذلك المادة والقيم، وبطل القصة يجد نفسه في الفندق ولا يدري أي شيء عما بداخله بعدما فقد الذاكرة، وبعد تعرفه على مالك الفندق وبنته ويتم التقارب بينهم ثم يقوم بالزواج منها، وهنا يبدأ صراع القديم المتجسد في هذا الفندق والجديد المتجسد في الفنادق المبنية حديثًا؛ إذ تقوم الزوجة باسترجاع الذكريات بعدما نما إليها أن البطل سيهاجر مرة أخرى؛ فقالت له بأنك زوجي من القديم وقد سرق الخزانة؛ لكنها نجحت في سلبها وهربت فنتج عن ذلك فقدانك للذاكرة، ويستمر الاسترجاع الذي يجسد الصراع الدامي بينهما – أي بين المادة والقيم وكذلك القديم والجديد – ورغبتها في إعادة بناء الفندق من خلال الابن المنتظر[٣].

ويسطر الكاتب في قصة "زيارة" الزمن من خلال استرجاع (عيون) لفقدان وليدها، وأنها أضحت عاجزة عن الحركة وتحتاج إلى مساندة خادمتها (عدلية)، والقصة تتناول استغلال الإنسان بسبب عجزه، وتلاشي الإرادة لدى

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص٢٢٧.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص٢٢٧.

(٣) انظر : نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية ص٢١٢/ ٢٢٠.

الأفراد أمام القوة، وعبرت (عيون) عن اغتيال وليدها بقولها: "ومن عجب أنها لا تفقه للسياسة معنى ولا يتحرك في نفسها لها ساكن ورغم ذلك التهمت وحيدها"(١)، لكن هذا الاسترجاع كان سببًا في استنهاض قوة (عيون) مرة أخرى خاصة بعد تعزيز هذه القوة من خلال الشيخ طه؛ الذي وقف إلى جانبها حتى استعادت قوتها وانتصرت على خادمتها.

والكاتب يرصد لنا في قصة "الصدى" الزمن من خلال استرجاع شخصية عبد الرحيم؛ الذي هاجر بسبب قسوة أمه التي تجسد الوطن، فيبدأ يستعيد ذكرياته وحلمه في تحقيق الانتماء ، ويسترجع أن سبب قوته هي الأم؛ فيقول: "أسترجع دومًا تساؤلي عما شكله بهذه الصورة الوحشية... والحقيقة تتكشف له أن السبب ينبع منك يا امرأة"(٢).

ويرصد الكاتب الزمن الإطار في قصة "فنجاي الشاي"، فزمن القصة جميع أحداث القصة، وذلك كحدث إطلاق النيران بين الجندي الأمريكي والآخر الفيتنامي(٣)، وحدث صراع العملات وضرره على الأفراد والمجتمعات(٤)، وغير ذلك من القضايا التي تم تناولها في مدة مطالعة الجريدة(٥).

وفي قصة "تحت المظلة" نجد الزمن مجسدًا لهزيمة ١٩٧٦، وما عانى منه الكاتب من سلبية؛ فزمن القصة جاء في لحظة ثابتة توحي بأن الهزيمة معبرة عن الفوضى والاستسلام من جانب الشخصيات؛ لذا ظلت الشخصيات

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٥٧.

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢٣ .

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ٧٨/ ٧٩/ ٨٠.

(٤) انظر السابق نفسه: صـ٨٥/ ٨٦.

(٥) انظر السابق نفسه: صـ٩٢/ ٩٥/ ٩٨/ ١٠١/ ١٠٨.

تحت المظلة راضية بالأمر الواقع، ولا تشارك في الأحداث، وكان الكاتب يشير إلى أن الشخصيات لا تستطيع سوى المشاهدة للأحداث فقط[١].

نخلص مما سبق إلى أن المكان علاقة وطيدة بمفردات السرد داخل النص، وفى مقدمة هذه المفردات الحدث والشخصية، وهذا ما عبرت عنه "زينب العسال" في دراستها لأدب لطيفة الزيات؛ إذ تقول: "وذهب البعض إلى القول بأن هناك تطابقا بين المكان والشخصية ، فلا وجود للمكان إن لم توجد الشخصية على مسرح الأحداث. فنحن نشعر بالمكان وأهميته عبر وجهات النظر المتعددة داخل العمل الأدبي ، عن طريق إقامة صلات بين المواد والأجزاء والمظاهر التى يتضمنها الشكل الحكائى ، بحيث تصبح كلها تعبيرا عن كيفية تنظيم الفضاء الروائى".[٢]

والدراسة ترى أن البناء الفني للقصة القصيرة يركز على إبراز البيئة وأثرها على الأحداث والشخصيات، والكاتب كان موفقا في التعبير عن المكان والزمان في قصصه؛ فجعل من المكان البطل كما في قصة (الحجرة ١٢) وقصة (النافذة في الدور ٣٥) ....إلخ، وجعل من الزمان بؤرة التركيز من خلال الزمن الإطار؛ الذي تجسد في قصة (فنجان شاي) وغيرها كما تم ذكر ذلك في الدراسة.

(١) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٥/ ٧/ ٨ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء، ص١٦١، ١١٠، ٢٣٨، ٧٩....

(٢) زينب العسال: تفاعل الأنواع فى أدب لطيفة الزيات ، ص٣٠٢ (ضمن سلسلة كتابات نقدية ١٤٠، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط نوفمبر ٢٠٠٣).

المبحث السادس: اللغة والأسلوب في قصص الكاتب

من المتعارف عليه أن الإبداع الأدبي يعتمد على المضمون والأداة المجسدة له، ولا ينتصر لأيهما؛ فهما يسهمان في إبراز الإبداع الأدبي، والدراسة تجسد النص الأدبي المتغير؛ الذي يظهر مع الكاتب والمتلقي، وقد أشار "بارت" إلى ذلك بقوله: "إننا لا يمكن أن نتحدث عن مثل هذا النص، وإنما يمكن أن نتحدث (في) هذا النص... فللنص قراءتان: الأولى: قراءة تغلق النص وتقف به عند زمن معين، والأخرى: تفتح النص ليصير متزامنًا مع المتلقي ومماثلاً لقضاياه"(١).

ويقول "يوسف القعيد" في علاقة الشكل بالمضمون: "إنني مشدود إلى اللحظة الراهنة، ولا أملك إلا أن أواجهها بأدبي... ولكنني أحرص أن يكون لي صوتي الخاص، وقد حاولت أن استخدم لذلك عددًا من المقتنيات الخاصة"(٢)، ويقترب منه في هذه الرؤية "جمال الغيطاني" في قوله :"لا أقول إنني أخلق شكلاً أدبيًا جديدًا، وإنما أحاول التجديد داخل إطار الفن... وأحاول إيجاد أشكال فنية تتوفر فيها مساحة أكبر من القدرة على التعبير..." (٣).

والدراسة ستطرح آليات التعبير التي استعان بها الكاتب في تجسد أفكاره لدى المتلقي، وبرز ذلك في محورين:

المحور الأول: اللغة.

المحور الثاني: الأسلوب.

---

(١) ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة صـ١٠ (دار عويدات، د. ط ، ١٩٧١) ت: فريد انطونيوس.

(٢) يوسف القعيد: مجلة فصول، مجلد ٤ ، عدد ٢، ١٩٨٢ صـ٢١٤.

(٣) جمال الغيطاني: مجلة ألف، عدد رابع، ١٩٨٤ صـ٧٦.

المحور الأول: اللغة:

من المتعارف عليه أن اللغة لها أهمية كبيرة؛ فهي أولى العناصر الفنية للتعبير عن الإبداع، كما أنها "بمثابة الألوان لفن التصوير، أو الرخام لفن النحت... وكثيرًا ما تكون المشقة في إخضاع الفكرة أو الإحساس للفظه وأما قبل ذلك فلا وجود لهما على الإطلاق..."(١)، ولا ريب في أن المبدع كلما تقدم في خبرته؛ تطورت لغته "وكلما تكررت تجاربه، وتأكدت خصائصه الجديدة في ذهنه؛ كلما زادت لغته رسوخًا وطلاقة..."(٢).

وقد تجسدت في قصص الكاتب أدوات استعان بها في إبراز مراده لدى المتلقي؛ فوجدنا التكرار والحلم والإيحاء والتسجيلية والمفارقة والسينما والجمل القصيرة المتتابعة والرسالة.

ويجسد الكاتب في قصة "الظلام" الاستبداد المتمثل في السلطة، وكذا التضليل والخداع والتلاعب بمصائر الشخصيات من خلال المعلم الذي يجسد السلطة؛ لذا كرر الكاتب في القصة للمفردات المعبرة عن الظلام، الذي أحاط بنزلاء السجن المتجسد في الحجرة القاطنون بها؛ فكرر الكاتب ألفاظ (الخلاء، الصمت، الاستكانة، الخوف، القلق، الضعف...)(٣).

---

(١) د محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث صـ٥٢٣ (نهضة مصر، بيروت، د . ت)، و د محمد مندور: في الأدب والنقد صـ١٩ (ط نهضة مصر).

(٢) إرنست فيشر: ضرورة الفن صـ٣٩ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨) ت: أسعد حليم.

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٣١/ ٣٤/ ٣٦/ ٣٧/ ٣٩ (مصدر سابق).

وفي قصة "الفأر النرويجي" نجد التكرار من خلال بداية القصة؛ إذ يقول السارد: "من حسن الحظ ألا نكون وحدنا في هذه المحنة"[١] وهي بداية توحي بالتماسك والوقوف أمام خداع السلطة وإشاعة الخوف بين الناس والتضييق عليهم من خلال الإيحاء بأن هناك مشكلة سوف تواجههم وتقضي على حياتهم وهي الفئران الشرسة، وهذه البداية قد تكررت في ثنايا القضية لتجسيد الجو النفسي لدى الشخصيات وما يعتريها من خوف، فيقول السارد: "على أي حال ثبت أننا لسنا وحدنا"[٢]، ثم يقول في مشهد آخر: "وقلنا حقًا لسنا وحدنا في المعركة"[٣] وكأن الكاتب يهدف من هذا التكرار دفع مشاعر الريبة عند الناس وتوهمهم بأنه لا أحد سيكون معهم؛ فكان التكرار لاستنهاض الهمم والتغلب على الخداع والتضليل الذي تطرحه السلطة على الشعب.

ويسطر الكاتب في قصة "تحت المظلة" التكرار من خلال جملة (انهمر المطر) ليرصد الحزن المخيم على الكاتب من الاستكانة والسلبية التي سيطرت على الشخصيات القابعين تحت المظلة، فهم لا يشاركون في الأحداث واستسلموا للأمر الواقع؛ على الرغم من حرمانهم الشعور بالإرادة أول الأمل، وأكد الكاتب تلك السلبية في قوله: "وشدت أعين الواقفين تحت المظلة إلى المعركة"[٤] وقال شدت ولم يقل اتجهت؛ ليوحي بأن هذه السلبية يصعب خروج الشخصيات عنها، وهذا ما جعل الكاتب يكرر تلك الجملة ويجعل من الطبيعة

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص٤ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل : ص٤ .

(٣) السابق نفسه: ص٥ .

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص٥ (مصدر سابق).

مشاركًا رئيسًا؛ ليؤكد حالة الحزن المسيطرة عليه بسبب الاستكانة والاستسلام من جانب الشخصيات.

ومن التقنيات التي برزت أيضًا لدى الكاتب الحلم؛ وذلك لينفس عن الشخصيات؛ فهي تتجرع مرارة الأسى لعدم قدرتها على تغيير الواقع ولا تجد منفسًا لها إلا الحلم؛ هروبًا من هذا الواقع؛ أو أملاً منها في غد أفضل، وتجسد هذا الحلم في قصة "حنظل والعسكري"؛ فالقصة تبرز لنا التطلع إلى العدل المفقود، وتتناول (حنظل) الذي أدمن المخدرات وتطارده الشرطة باستمرار، ونظرًا لعدم توفر العدل والأمان في الواقع؛ يلجأ الكاتب إلى الحلم؛ إذ يأتي لحنظل في الحلم مأمور القسم، ويتحدث معه حديثًا إنسانيًا، ويتعهده بالمساعدة، وإدخاله مصحة للعلاج، ويخرج منها سالمًا معافى، وفي نهاية الحلم يشعر حنظل بالاختناق عندما يجد حذاء الشاويش عليه، فيقول له: "أين عهد المأمور يا شاويش؟! ... عهد المأمور يا مجنون... فنظر حوله في ذعر فوجد ظلمة شاملة وصمتًا..."(١).

ويطرح الكاتب في قصة "كلمة غير مفهومة" الحلم الذي يوحي بالموت عندما تقهر الشخصية، وكان ذلك في شخصية (حندس) الذي يتعلق بالحياة، وفي الحلم نجد أن (حندس) قد رأى (حسونة) ابن غريمه الذي قام بقتله من عشرين عامًا، وعاد ليأخذ بثأر أبيه بعد تعهدته أمه لذلك، وبدأ يبحث عنه؛ خوفًا من قول أبيه لولده قبل وفاته "سأقتلك يا حندس وأنا في القبر" وكان في حالة ارتياب شديدة بعدما قال له الشيخ (دردير) بأن الابن متواجد؛ إذ "رآه

(١) نجيب محفوظ: خمارة القط الأسود صـ٢٠٦ (مصدر سابق).

بصحبة أمه صدفة وهو يتجول بين المقابر"[١]، وقد نجح الكاتب في استشراف وفاة حندس؛ من خلال إحياء حدث قديم يقلقه؛ مما أدى إلى ملاحقته في الحلم وهذا يعد إرهاصًا لموته وفي نهاية القصة يموت حندس بين أقرانه.

ويدلف الكاتب في قصصه إلى التنويع في التقنيات الفنية؛ فنراه يلجأ إلى تقنية السينما في قصة "تحت المظلة" والتي تتناول حال الشعب بعد الهزيمة؛ فيجعل الأحداث على شكل سينمائي؛ يظهر من خلاله أن الخيال ينتقل إلى الحقيقة، ويبين صورة الشعب إزاء هذه الهزيمة؛ فقد ظل متفرجًا ومهيمنًا عليه الحزن دون أن تكون له إيجابيات في التعامل مع هذه الأزمة؛ وجسد هذا الشعب من خلال الشخصيات التي تجلس تحت المظلة نشاهد الأحداث دون أن يكون لها أي رد فعل في ذلك، وقد استخدم الكاتب هذه التقنية؛ لأنه – من خلالها – "يهون من عنف النكسة بإضفاء عنصر الوهم عليها"[٢]، والدراسة ترى أنه استعان بها لأن الاستبداد والسيطرة تمكنت من الشخصيات وليس لهم إلا الاستسلام والمشاهدة، فنحن لا نملك تغيير شيء، ومن هنا لجأ إلى تقنية السينما؛ إذ إن لها بداية ونهاية معروفة ولا نستطيع استبدالها.

وفي قصة "المعجزة" يستعين الكاتب بالمفارقة التي توحي بالسخرية، وتجسدت ذلك في صورة الموظف البسيط الذي لم يحقق أهدافه طوال عمره؛ لذا يبدأ يعيش في التنبؤ الذي ينفس عما في وجدانه من آلام، وقال لنفسه بأن التنبؤ سيحدث في يوم من الأيام ولو بالمصادفة، ثم يحاور نفسه قائلاً: "ما أكثر المصادفات الخارقة في دنيانا، ألا تذكر كيف تولى وزير (وزارة العدل) لانطباق

(١) نجيب محفوظ: خمارة القط الأسود: صـ١٠ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص١٣٩، ٩٩، ١٦٢، ٧٠، ١٧٠ ... .

(٢) سعد عبد العزيز : مجلة المجلة، يونيو ١٩٦٩ صـ٩٨.

اسمه على اسم آخر كان هو المقصود بالوزارة؟"[١]، فالنص به سخرية ومفارقة؛ إذ تم تعيين شخص للوزارة ولم يكن هو المطلوب، لكن الاختيار جاءه بسبب تطابق اسمه مع اسم الشخص الآخر المقصود بالوزارة، ويجعل الكاتب الوزارة هي وزارة العدل وفيه إيماء يجسد فقدان العدالة في ذلك الوقت.

ويحمد للكاتب أنه كان يستعين بالجمل القصيرة التي تجسد تلاحق الحدث، وبرز ذلك في قصة "ضد مجهول" التي تتناول جريمة الخنق بالحبل لكل من يسأل أو يهتم بما يجري في الواقع؛ فيقول السارد: "الحبل ينتقل ولا يفرق بين شيخ وشاب، وغني وفقير، رجل وامرأة، صحيح ومريض... مجنون؟ .. وباء؟ .. سلاح سري؟ .. خرافة من الخرافات؟!"[٢]، وفي قصة "الرسالة" نجد لجوء الكاتب إلى الجمل السريعة التي تجسد اتجاه الشخصية إلى مصيرها؛ إذ يقول السارد: "فكان يغادر بيته، ليؤدي صلاة العيد، ففتح الباب فرأى كريم البرجواني، رآه في ظلمة الفجر، تراجع خطوة وأخرج مسدسه، شعر بألم حاد، أطلق الرصاص وهو يغوص في الغيبوبة"[٣].

ويسطر الكاتب في قصة "فنجان شاي" تجسيده لتقنية التسجيلية؛ إذ يقوم البطل بتسجيل أحداث متتابعة من خلال الستارة التي تأتي بعد كل حدث، والبطل في القصة يتسم بالعزلة، ويتابع الأحداث والقضايا عن خلال الجريدة التي يطلع عليها بصفة مستمرة، وجعل من صفحات الجريدة ستائر تبرز تلك الأحداث والقضايا، واعتمد في ذلك على التجول السريع من حدث لآخر، وتعدد الأحداث قصد به الكاتب كثرة الأزمات.

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٢٢ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ١٠٨ (مصدر سابق).

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة الشيطان يعظ صـ٢٩٢ (مصدر سابق).

بدأ البطل بتطلع الجريدة ويرصد الحدث الأول بخروج شخصية ترتدي الثوب الأسود؛ فهو صاحب "مظهر غريب اقتحم عليه حجرته وتشبث أن يتخذ موقفًا في ناحية منها"[١] والرجل هنا يوحي – كما أبرز رجل الفراش الذي يطالع الجريدة – بالسيطرة، ثم يقوم الكاتب بتسجيل مشهد آخر – من خلال صفحات الجريدة – فنجد فتاة تتميز بالجمال وتقول للرجل "سأظهر هكذا في دور جديد في الفيلم الجديد – الأبواب الخلفية – وهو دور يقتلك بالضحك..."[٢] والفتاة توحي بتزييف الحقائق من خلال الشعارات المضللة.

ويتابع البطل تسجيل الأحداث من خلال تحرك الستارة وخروج رجلين يتناحران بسبب المارك والفرنك "يقول الأول: المارك رمز التفوق... ويقول الآخر الفرنك رمز الإنسانية"[٣] ويبين رجل الفراش بأن الستارة تحركت مع هذا الحدث حركة قوية ؛ وربما ذلك ليجسد سرعة الصعود والانخفاض في العملات، ويسجل البطل الصراع بين العملات في قوله: "قام الألماني بلكم الفرنسي، فتراجع مترنحًا... ثم نهض وهجم على الألماني ولطمه على وجهه فسقط فوق رجل واستعاد توازنه..."[٤]، وتجسيد البطل وتسجيله لهذا الصراع بين العملات يبين أن المتضرر الوحيد من ذلك هي الشخصيات الفقيرة والدول النامية؛ إذ يزداد الألم ويتجسد الحزن الوخيم على تلك الدول ويشتد عناؤها،

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص٧٧ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص٧٨.

(٣) السابق نفسه: ص ٨٥ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص،٢٢٤،١٤٤،٥٩،٢٢٣،١٦١... .

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل:٨٦.

وأكد السارد ذلك من خلال قول رجل الفراش: "لقد عانيت من صراعهم..."[١]، وينتقل البطل إلى تسجيل الوضع المزيف من خلال الواقع؛ عندما تخرج فتاة جميلة في سن العشرين تقول: "أنا فتاة مثقفة، أتقن العربية والإنجليزية وأعمال السكرتارية... أريد وظيفة سكرتيرة"[٢] والكاتب من خلال البطل يسجل مشكلة قلة فرص العمل وما تعانيه الشخصيات - المجسدة للواقع – من فقر يؤثر على حياتهم.

ويقوم البطل - أيضًا – بتسجيل الأوضاع العالمية التي استشرت في تلك الآونة، وكان ذلك من خلال حديث زنجي وعربي؛ فيقول الزنجي: "في أمريكا يحاصرني الاضطهاد باعتباري الأقلية، وفي أفريقيا أحاصر باعتباري الأغلبية... ويقول العربي: لا مكان إلا لنوعين من الإنسان، واحد يقاتل رغبة في الشر، وآخر يقاتل رغبة في الخير..."[٣].

ويقوم البطل بعد ذلك بتسجيل الأحداث السياسية من خلال خروج جندي أمريكي وآخر فيتنامي وكلاهما يطلق النار في الآخر، وكان لذلك أثره على الإنسانية؛ فيقول: "تساقطت فوارغ الرصاص فوق الرجل في فراشة، فاضطرب... لكنه لم يرفع رأسه عن الجريدة"[٤]، والنص يوحي بأن الرصاص شمل فيتنام جميعها؛ لذا قال الفيتنامي: "إني أطلق النار عليك... أما أنت فتطلق في كل الأماكن" وهذه القصة بها العديد من نصوص التسجيل التي

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: صـ٧٨.

(٢) السابق نفسه: صـ٩٢.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: صـ١٠٢.

(٤) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ٨٠ (مصدر سابق).

جعلتها ظاهرة[١]،وتناول الكاتب التسجيلية في قصص "مندوب فوق العادة"[٢] و "الفأر النرويجي"[٣] و " الخلاء"[٤]، و "الظلام"[٥]، "وليد عناء"[٦] و "رجل فقد ذاكرته مرتين"[٧]، وقد أحلنا إليها؛ لصعوبة الاستقصاء والدراسة ترى أن "التسجيلية تقوم على مبدأ الانتخاب والاختيار بما يتواءم مع وجهة نظر خاصة، أو فكرة معينة، لكنها تقف عند الظواهر..."[٨].

ولا ريب في أن الحرفية تعني نقل الواقع نقلاً مباشرًا؛ أما التسجيلية فمكانتها أشمل "فالمصور الفوتوغرافي لا يقف سلبيًا أمام مادة الحياة التي يلتقطها، بل إنه ينتخب ويختار وينتظر الفرصة المناسبة التي تمكنه من تحقيق هدفه"[٩].

المحور الثاني: الأسلوب:

من المتعارف عليه أن الإبداع القصصي يجسد الواقع باتجاهاته المتعددة، والمبدع لا يتعامل مع قطاع معين من الناس؛ لذا فمن الأفضل له أن

(١) انظر نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ ٨١/ ٨٢ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص،٢٢٩،٢٢٧،٢٢٤،٢٢٦ ... .

(٢) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٢٠٦/ ٢٠٨/ ٢١٥/ ٢١٩.

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ٤/ ٥/ ٦.

(٤) انظر نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ٢٨/ ٣٣/ ٣٦.

(٥) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٣٢/ ٣٣/ ٣٧.

(٦) انظر نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ١٨٥/ ١٩١/ ١٩٧/ ١٩٨.

(٧) انظر نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية صـ٢٠٦/ ٢٠٨/ ٢٢٠.

(٨) د . إبراهيم السعافين: تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧- ١٩٦٧، صـ٢٨٦ (دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢، بيروت ١٩٨٧).

(٩) د . إبراهيم السعافين: تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧- ١٩٦٧، صـ٢٨٥ (دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢، بيروت ١٩٨٧)..

يكون التعبير عنده من خلال أدوات شاملة، وعلى المبدع أن يجعل أسلوبه معبرًا عن النفسيات والصراعات الداخلية للشخصيات المجسدة أصناف الناس في الواقع، وهذا ما جعل "ألبيرس" يقول: إن قيمة الإبداع الأدبي "ليست في الموضوع، بل في الأسلوب"(١).

وسوف تتناول هذه الدراسة الأسلوب في قصص الكاتب من خلال أمرين:

الأول: أسلوب الحوار.

الثاني: أسلوب الوصف.

أولا: أسلوب الحوار:

للحوار أهمية كبيرة في الإبداعي القصصي؛ فمن خلاله نتمكن من معرفة ما يمور بأعماق الشخصيات من مشاعر تجاه الأحداث التي تمر بهم، كما أنه يسهم في رسم الشخصية وموقفها من الشخصيات الأخرى بالعمل القصصي، والكاتب الناجح هو من يجعل الحوار واضحًا بعيدًا عن اللغة السطحية ويكون مركزًا على الحدث الرئيس؛ ليجذب المتلقي ويكون متوافقًا مع مساحة القصة القصيرة في العمل الإبداعي(٢).

ويجسد لنا الكاتب في قصة "وليد العناء" الحوار من خلال حديث الزوج الذي يسيطر عليه الخوف بسبب إجهاض زوجه لأكثر من مرة، وحواره مع صديقه الذي يقف إلى جواره في هذا المشهد العصيب، فيقول الصديق: "علينا

(١) ر. م. ألبيرس: تاريخ الرواية الحديثة صـ٣١٥ (منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٢) ت: جورج سالم.

(٢) انظر: علي بو ملحم: في الأدب وفنونه صـ١٣١ (المطبعة العصرية، لبنان، ١٩٧٠).

أن نستفيد من السوابق لا أن نخافها... كانت السابقة الأولى في الواقع دابة ولذلك أرجعنا الإجهاض الجبري إلى جهلها... "[١].

فالنص يبين أن السبب في الإجهاض هو الوسائل الأولية القديمة، فالحوار يبرز لنا مشاعر الزوج وإيجابية الصديق وإيحاء من الكاتب بأن التقدم يكون بمواكبة العصر وثقافاته.

ويسطر الكاتب في قصة "نافذة في الدور الخامس والثلاثين" الحوار الذي يبين سلبية الشخصية واستسلامها، وبرز ذلك في حوار زوج صديقه "أنت أيضًا استسلمت، لا أحد منكم يحترم المقاومة..."[٢].

وفي قصة "الخلاء" نجد الحوار الداخلي متجسدًا في شخصية المعلم (شرشارة) الذي عاد – بعد هجرة دامت عشرين عامًا – ليقتص من لهلوبة الذي أخذ من عروسه يوم زفافه، فيقول : "لا أمل لك في الحياة إلا الانتقام... بذلك أسترد عشرين عامًا مفقودة في الجحيم، وأتعزى عن مالي الذي بعثرته على هذه العصابة..."[٣]، والدراسة ترى أن هذه التقنية تمنح الكاتب القدرة على الولوج إلى ما يمور في أعماق الشخصية والكشف عن أسرارها؛ إذ إنها "تقدم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات الذهنية بداخلها؛ دون أن تنطق بها الشخصية في كلام مجهور... ويمكن أن يقدم المونولوج الداخلي مادة الوعي بترتيب غير منطقي..."[٤].

---

(١) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل ص١٨٦ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل: ص٢٢٨.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود ص٢٨ (مصدر سابق).

(٤) روبرت همفري: تيار الوعي في الرواية الحديثة ص١٤ (دار المعارف، مصر، ١٩٧٥) ت: محمود الربيعي.

ويسطر الكاتب في قصة "الرجل الذي فقد ذاكرته مرتين" الحوار من خلال شخصية الرجل الذي يمتلك الفندق القديم الآيل للسقوط والمهدد بوجود فنادق أخرى حديثة بجواره، فيدور الحديث بين الأسرة حول هذا الحدث الجلل "يقول الأب: كم حسدنا الناس من أجل هذا الفندق! فيقول الزوج: اليوم هم ينظرون لنا بثراء... وتقول الزوجة امتلأ طريق الخلاء بالفنادق، وكلها قامت على طراز حديث... ويعلق الزوج: الحل أن يهدم فندقنا ويبنى من جديد... ويقول الأب: ومن أين لك بالمال اللازم لذلك؟.."[١]، وتقول الزوجة: الأفضل تيسير سبيل العلم للأبناء، وقد جسد الحوار الصراع بين القديم والجديد، وطرح فكرة العلم ووسائله، ويتم ذلك في نهاية القصة؛ إذ يعود الابن بنظرية علمية تحت عنوان : "إعادة بناء الفندق بلا تكاليف تذكر... ويؤكد لهم أن ذلك أنجح في عملية إعادة البناء من أعمال العنف والصراع..."[٢].

والدراسة ترى أن قصص الكاتب في أغلبها كانت طويلة – إلى حد ما – لأن الكاتب قد استعان بالحوار الطويل الذي يتوافق مع القضايا التي رصدها من خلال الواقع، وقام بنقدها من خلال أعمال الشخصيات في قصصه، ويلجأ الكاتب في قصة "الصدى" إلى الحوار الداخلي؛ من خلال عبد الرحيم الذي يعاني من قسوة الأم المجسدة للوطن، ويضطر للهجرة والعيش في عزلة، وعبر ذلك بقوله: "بعد لحظة سينفتح الباب عن الوجه القديم، الذي لم تره منذ عشرين سنة، والزمن لم يطمس صورته القديمة... الرصاص والمآسي..."[٣]،

(١) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية صـ٢٢٥ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية: صـ٢٣٦.

(٣) نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٩ (مصدر سابق).

والنص السابق يوضح لنا تجوال الشخصية بين الماضي وأحداثه الأليمة والمستقبل ومخاوفه الدفينة.

وفي قصة "الظلام" يتحدث الكاتب عن عجز الشخصيات وتوهمهم بالخرافات بسبب ضعفهم، والشخصيات تقطن في حجرة ضيقة مظلمة مجسدة لحال الشخصيات واستكانتهم، ويبرز الحوار هنا من خلال حديث المعلم للشخصيات، ويبين لهم أنه لا وجود لهذا الظلام، فقد صنعوه بسبب ضعفهم، ويقول لهم: "لم يخرج الظلام في حقيقته عن نطاق رؤوسهم... أنتم إنما تعيشون في الزمن الذي لم تكن الأعين قد خلقت فيه بعد..."[١].

نخلص مما سبق إلى أن الحوار له وظائف متنوعة؛ فهو يمكن الشخصية من الانسجام مع الشخصيات الأخرى، والتعبير عما يمور بأعماقها من مخاوف وأحلام، والنماذج كثيرة في قصص الكاتب؛ إذ كان الحوار ركنًا رئيسًا في الكشف عن الشخصيات وتوفر الصراع في القصة، ومن ذلك على سبيل الإجمال لا على سبيل الحصر والاستقصاء (قصة الجريمة)[٢] و (قصة العالم الآخر)[٣] و (قصة الوجه الآخر)[٤] و(قصة الزيارة)[٥] و (قصة المجنونة)[٦]... إلخ

(١) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ ٣١ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص١٦٨، ١١٠، ٢٣٩، ٨٠، ١٩٥....

(٢) انظر نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة صـ١٥٢/ ١٥٣/ ١٥٧/ ١٦١ (مكتبة مصر، ط ٣، ١٩٧٣م)

(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل صـ٥٠/ ٥٤/ ٦٠ (مصدر سابق).

(٤) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة صـ٤٥/ ٥١.

(٥) انظر نجيب محفوظ : مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٦٦/ ١٦٧.

(٦) انظر السابق نفسه: صـ١٣٠/ ١٣٤.

ثانيا: أسلوب الوصف:

يتميز الإبداع الأدبي بالصور التي يستعين بها الأديب من خلال خياله، والأديب يشاهد صورًا متنوعة من خلال تجاربه، وهذه المشاهد "تنصهر في نفس الأديب وفي أعماقه، ويحاول التعبير عنها لينتقل إلينا ذلك من خلال عمله الفني... وسيظل هدف الأديب من وراء ذلك إثارة الانفعال..."(١).

والكاتب يرصد في قصة "مندوب فوق العادة" الوصف من خلال شخصية إسماعيل بك الباجوري؛ الذي يجسد مستشارًا برئاسة الوزراء عن طريق الوهم، فيصفه بقوله: "ولاح في نظرته الكحيلة تفكير، شيء من الحزن والفتور"(٢) والوصف يجسد حالة الحزن المسيطرة على الشخصية؛ فهي لا تستطيع الوصول إلى العدالة؛ لذا جعل من نفسه مستشارًا برئاسة الوزراء، وذهب إلى إحدى الوزارات لمتابعتها، ويتحدث أحاديث إيجابية توحي بالأمل مع الموظف الذي كان يتحرك معه في هذه المتابعة(٣).

ويسطر الكاتب في قصة "روح طبيب القلوب" الوصف من خلال شخصية الفتاة التي سقطت منها الحلي، وأخذها منها ولي الضريح وخادمه والشرطي، فتهرب الفتاة إلى الآخرين تستنجد بهم، ويقوم الكاتب بوصفها وصفًا يبين وضعها فيقول: "إن قدميها حافيتان، وجلبابها رث، ولكن جمال وجهها آسر"(٤)، ثم يصف الكاتب ولي الضريح بقوله: "إنه لا تناسب بين جسم الرجل

(١) محمد انقارك: الصورة الروائية بين النقد والإبداع ص٤١ (مجلة فصول، ج ١١، ع ٤، ١٩٩٣).
(٢) نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص٢١٠ (مصدر سابق).
(٣) انظر نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة ص٢١٣/ ٢١٩.
(٤) نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل ص١١٦ (مصدر سابق).

النحيل وبين عمامته الخضراء الكبيرة ولحيته الكثيفة السوداء"[١]، والنص من خلال الوصف يبرز لنا التناقض في شخصية ولي الضريح، فهو يستظهر بالتقوى؛ لكن أفعاله وما يمور بأعماقه يبين ما ينطوي عليه من صفات الاستغلال.

وفي قصة "وليد العناء" نجد الوصف في شخصية الأم التي تعاني ولادة متعسرة؛ بعد إجهاضها أكثر من مرة، فيصف السارد قلقها في ولادتها الحالية بقوله: "أشاعت في وجوه الخالي روحًا مبللاً بعرق العناء المر"[٢] والقصة تتناول دعوة إلى استخدام الوسائل الحديثة التي تلائم العصر، كما تبين أهمية العلم، والصراع بين القديم والحديث، وبرز ذلك في وصفه للشيخ العجوز صديق الزوج؛ فيقول: "عجوز طاعن في السن، وهو نحيل لدرجة مخيفة كأنه محض عظام، برزت وجنتاه وفكاه وغارت عيناه، فلم يبد في محجريها إلا ظلام..."[٣]، فالنص هنا يجسد حالة القلق والاضطراب من ولادة الأم المتعسرة ويظل الصراع بين القديم والجديد، والقصة من خلال الوصف السابق تجسد لنا وضعنا الحضاري غير المواكب لكل ما هو جديد، والاعتماد على الوسائل القديمة الأولية التي أصبحت لا تلائم معطيات العصر، فجعل العجوز المجسد للقديم بأنه نحيل ولا ترى منه شيئًا وكأنها دعوة من الكاتب إلى أهمية استخدام الوسائل الحديثة، تلك الوسائل التي تواكب معطيات العصر.

ويتابع الكاتب استخدام الوصف في قصة "الفأر النرويجي"، إذ يرصد الكاتب وصفًا للمندوب الذي يحسد دور المضلل للشعب؛ من خلال إيهام

(١) نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل ص١١٦ (مصدر سابق).

(٢) نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل: ص١٨٥.

(٣) انظر نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل ص١٩٨/ ٢١١.

الناس بحدث يهدد حياتهم وهو وجود فئران شرسة ستقتحم بيوتهم ويجب على الجميع عمل خطة لذلك، وهذه حجة لتضليل الناس والتضييق عليهم، وقد وصف السارد المندوب بقوله: "مكتنز الجسم ذا شارب غليظ، يذكر وجهه المربع بوجه قط بأنفه القصير المطموس ونظرته الزجاجية"[١]؛ ثم يواصل السارد وصفه بعدما استقر له الأمر وتم تنفيذ أوامره فيقول: "هيئة وجهه لم تعد تذكر بالقط، ولكنها تذكر بالفأر، بل الفأر النرويجي نفسه"[٢] فالنص يبين حالة التضليل التي يتصف بها، فهو يدعي حماية الشعب وهذا ما أيدته صورة الفأر.

والنماذج التي استعان بها الكاتب بالوصف في قصصه كثيرة؛ إذ إن الوصف من أركان القصة التي لها الأثر الفاعل في الأحداث، وبرز ذلك – على سبيل الإجمال لا الحصر – في قصص منها: (قصة خمارة)[٣] و (قصة كلمة غير مفهومة)[٤]، و(قصة فنجاي شاي)[٥] و (قصة روبابيكيا)[٦].

نخلص مما سبق إلى تمكن الكاتب من اللغة والأسلوب؛ إذ استخدم اللغة التي تعبر عما يجيش في دواخل الشخصيات من هموم وصراعات وتحديات؛ لذا اختار الأسلوب الذي يتوافق مع مستويات الشخصية ثقافة، وهذا ما يبين

(١) نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل: صـ٥.

(٢) السابق نفسه : صـ٦ وينظر العناصر الرمزية في القصة القصيرة د فاطمة الزهراء ص٧٠،٦٩،١٩٥،١٠٦،١٠١،....

(٣) انظر نجيب محفوظ : مجموعة خمارة القط الأسود صـ١٥١/ ١٥٣.

(٤) انظر السابق نفسه : صـ٨/ ١٠/ ١٣/ ١٤ .

(٥) انظر نجيب محفوظ : مجموعة شهر العسل صـ٧٨/ ٧٩/ ٨٠.

(٦) انظر نجيب محفوظ : مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية صـ١٦٤/ ١٦٧.

لنا قيمة اللغة والأسلوب لدى الكاتب؛ فبهما يعبر الكاتب عن معانيه، ومن خلالهما نجد الأحداث تتجسد عبر الترتيب الطبعي الذي أراده كاتبنا لها.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم عليّ بفضله فانتهيت من هذه الدراسة؛ التي حاولت فيها تلمس تقنيات البناء في قصص الكاتب، كما اتضح من خلالها أن الأدب يعد نشاطًا اجتماعيًا يشارك الفرد في بنائه.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج وهي:

– استيعاب الإبداع القصصي لدى الكاتب للقضايا التي تمس وجدان أفراد المجتمع.

– تميزت أعمال الكاتب القصصية بأن شخصياتها كانت مجسدة للمجتمع، وهذا ما أتاح الولوج إلى مجتمعات الناس في زمنه.

– يحمد للكاتب عند عرضه للنموذج السلبي؛ رصده للنموذج الإيجابي الذي ينجح في الانتصار على النموذج السلبي.

– إن إبداع الكاتب القصصي كان ترجمة أمينة لواقعه؛ إذ عبر عن الصراعات والقضايا التي تمس وجدان كل فرد بالمجتمع.

– كشف إبداع الكاتب القصصي عن أبرز الظواهر السلبية عند أفراد المجتمع، ولا ريب أن هذه الظواهر تعد مرضًا خطيرًا؛ إن استمرت دون مقاومة.

– ربط الكاتب بين عناوين قصصه والمضمون المتجسد في إبداعه القصصي.

– تمكن الكاتب من لغته؛ إذ استعان بآليات للتعبير التي تجذب المتلقي وتسهم في إيصال الفكرة إليه بيسر، فوجدنا التسجيلية والمفارقة، والحلم والتكرار والسينما.

– تميز الكاتب في تضافر أدواته الفنية من أحداث وزمان ولغة...؛ وذلك ما أسهم في رسوخ الأفكار لدى المتلقي.

– جسد الكاتب السرد في التعبير عن الذات وما تعانيه، وتم ذلك في تشكيل الشخصية ودورها في قصص الكاتب.

- وظف الكاتب المكان توظيفًا بارعًا؛ وهذا ما أسهم في نمو الحدث.

- استعان الكاتب بالحوار الطويل؛ ليتوافق مع القضايا التي رصدها من خلال الواقع، فقام بنقدها من خلال عمل الشخصيات في إبداعه القصصي.

- إن الإبداع القصصي قد جسد أداة من أدوات النقد الاجتماعي والسياسي.

– نجح الكاتب في معرفة ما يمور بداخل الشخصيات؛ وكان ذلك عاملاً من عوامل إقناع القارئ بالصدق في رسم الشخصيات.

– لجأ الكاتب إلى الطبيعة؛ لتكون المتنفس لدى الشخصيات تعاني مرارة الواقع الأليم، واستعان الكاتب بالاستفهام في إبداعه القصصي؛ لتمكنه من تجسيد الرغبات النفسية للشخصيات.

– وظف الكاتب الزمن توظيفا بارعا من خلال وسائل السرد التي استعان بها للتعبير عن الزمن كالاسترجاع وغيره.

هذه أبرز الجوانب البارزة في الدراسة؛ تلك الجوانب التي أضفت على إبداع الكاتب المتميز.

وبعد فالله أرجو أن أكون موفقًا في الكشف عن الجوانب الفكرية والفنية عند الكاتب، والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- نجيب محفوظ: مجموعة بيت سيء السمعة (دار مصر للطباعة، ١٩٦٦).
- نجيب محفوظ: مجموعة حكاية بلا بداية ولا نهاية (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣).
- نجيب محفوظ: مجموعة شهر العسل (مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧٣).
- نجيب محفوظ: مجموعة خمارة القط الأسود (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤).
- نجيب محفوظ: مجموعة تحت المظلة (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٤).
- نجيب محفوظ: مجموعة الجريمة (مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٨).
- نجيب محفوظ: مجموعة الشيطان يعظ (مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٩).

ثانيًا: المراجع:

- أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب المصري الحديث في مصر (دار المعارف، ط٣، ١٩٨٦).
- أندريه ميكيل: رؤية فرنسية للأدب العربي (كتابات نقدية، ع ١٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة) ت: د أحمد درويش.
- إرنست فيشر: ضرورة الفن (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨) ت: أسعد حليم.
- أميمة محمد شندي: مصر في قصص نجيب محفوظ، عصر ما قبل الثورة (جامعة عين شمس ١٩٩١).
- بوريس أوسبنكي: مقال عن وجهة النظر (دار عويدات، بيروت، ١٩٧١).
- جمال الغيطاني: (مجلة ألف، ع ٤، ١٩٨٤).

- جوليا كرستيفا: علم النص (دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١) ت: فريد الزهى.
- رئيف خوري: الأدب المسئول (دار الأدب، ط١، بيروت، ١٩٦٨).
- روبرت همفري: تيار الوعي في الرواية الحديثة (دار المعارف، مصر، ١٩٧٥) ت: محمود الربيعي.
- رينيه ويلك: نظرية الأدب (المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٧) ت: محيي الدين صبحي.
- زينب العسال: تفاعل الأنواع فى أدب لطيفة الزيات (ضمن سلسلة كتابات نقدية١٤٠ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط نوفمبر ٢٠٠٣).
- سعد عبد العزيز: مجلة المجلة، يونيو ١٩٦٩.
- سلامة موسى: الأدب للشعب (مؤسسة الخانجي بمصر، القاهرة، ١٩٦١).
- سلامة موسى: مشاعل الطريق للشباب (دار العلم للملايين، ط٢ بيروت، ١٩٦٢).
- سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ (دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٦).
- صبري حافظ: نجيب محفوظ، مصادر تجربته الإبداعية (مجلة الآداب، ع ٤، ١٩٧٣).
- صدوق نور الدين: البداية في النص الأدبي (دار الحوار للنشر، ط١، ١٩٧٤).
- طه حسين: قادة الفكر (دار المعارف ، ط٩، القاهرة، د ت).
- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر، ١٩٩٨).
- عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه (دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٦٥).
- علي شلق: نجيب محفوظ في مجهوله المعلوم (دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٩٧٩).

- د. فاطمة الزهراء: العناصر الرمزية في القصة القصيرة (دار نهضة مصر للطبع والنشر)

- فاليرياكير بيتشكنو: الرواية المصرية بعد الستينات (مجلة فصول، مجلد ١٢، عدد ١، ١٩٩٣).

- محمد أحمد القضاة: نجيب محفوظ والتراث(الجامعة الأردنية ١٩٩٦ كلية الدراسات العليا).

- محمد انقارم: الصورة الروائية بين النقد والإبداع (مجلة فصول، مجلد ١١، عدد ٤، ١٩٩٣).

- محمد حامد الحضيري: ماهية الأدب ومهامه في النقد الأدبي الحديث ص٤٦(مطابع غزلان بالقاهرة، ط١، ١٩٩٢).

- د. محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة (منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٣).

- د. محمد عبد المطلب: بلاغة السرد (الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ٢٠٠١).

- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث (دار الثقافة، العودة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣).

- محمد فكري الجزار: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي (الهيئة العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨).

- محمود أمين العالم: الثقافة والثورة (دار الأدب، بيروت، اكتوبر، ١٩٧٠).

- ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة (دار عويدات، د ط، ١٩٧١)، ت: فريد انطونيوس.

- ناهدة فضلي الدجاني: الموت في قصص نجيب محفوظ (الدائرة العربية، الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٧٠)

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
التمهيد: ترجمة مختصرة عن الكاتب ١٠
المبحث الأول: نقد الواقع في قصص الكاتب ١٢
المبحث الثاني: العنوان في قصص الكاتب ٢٥
المبحث الثالث: الشخصية وتشكيلها في قصص الكاتب ٣٠
المبحث الرابع: النهايات في قصص الكاتب ٤٣
المبحث الخامس: البيئة في قصص الكاتب ٥٧
المبحث السادس: اللغة والأسلوب في قصص الكاتب ٦٤
الخاتمة ٨١
المصادر والمراجع ٨٣
فهرس الموضوعات ٨٦

****